471

HARLEQUIN

روايات أحلام

فرصة العمر الأخيرة

جاكي براون

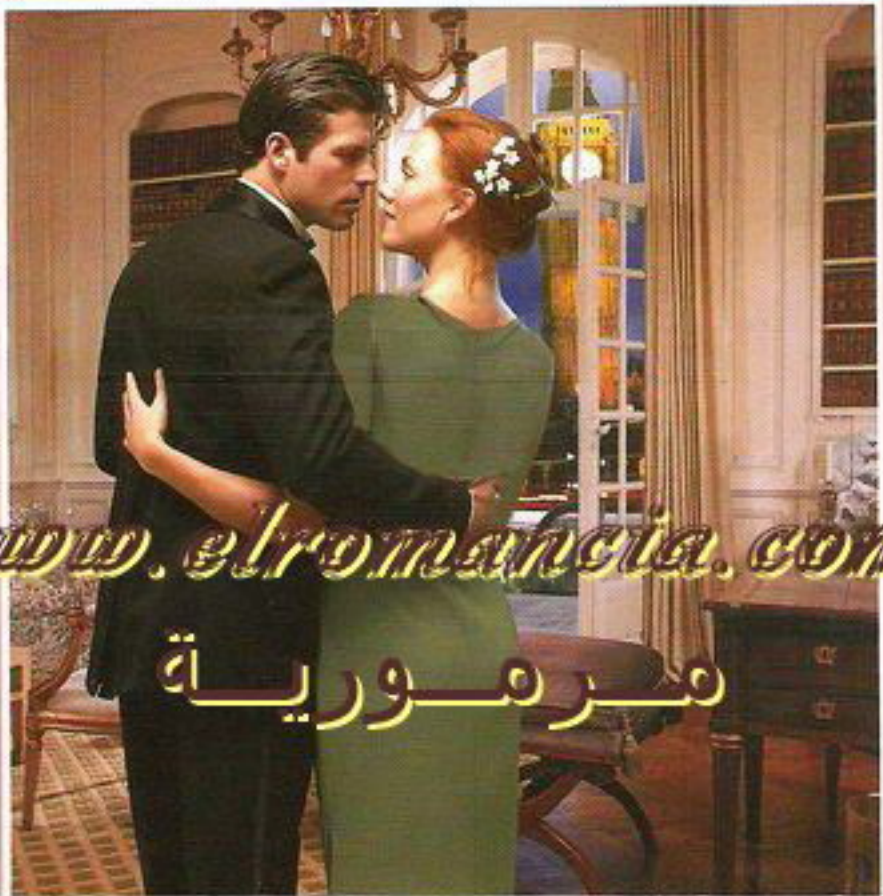

www.elromancia.com
مرمورية

فرصة العمر الأخيرة

تعرضت روز بانيت للهجر من أبويها وهي طفلة ، ولم تشعر أنها تنتمي يوماً إلى أي مكان . الآن بدأت تفكر أن الحظ يعاكسها من جديد ، فهي لا تملك مالاً وقد تعطلت سيارتها وسط الطريق في منطقة مجهولة . ثم تم إنقاذها ..
مايسون سترايكر الفاتن قدم لروز حبل النجاة : منزلاً للإقامة ، طعاماً شهياً وعملاً .. عاملها كأنها امرأة مميزة جداً وجذابة جداً . لم تحظ روز يوماً بمعاملة مماثلة ، إذ لم يحبها أحد من قبل ولم يدللها أحد أو حتى يريدها أحد . ودعاها حدسها إلى الهروب لحماية نفسها خشية حدوث أمر ما يبدل ما تعيشه الآن .
حاولت جهدها أن تحارب حدسها ، فهي أخيراً قد وجدت حبها الحقيقي ... فهل سيضيع من يدها ؟

١ ــ مرفأ الفرص

توقفت السيارة القديمة عن الحركة بعد إصدارها آخر أزيز مزعج. انطفأ محركها في لحظة غير متوقعة، لكن ذلك لم يسبب صدمة لصاحبتها، فالسيارة القديمة بدأت تنزف الزيت الأسود منذ عشرات الأميال. أوصلت روز بانيت السيارة الصدئة القديمة ذات الأبواب الأربعة إلى جانب الطريق العام، وودعتها بسيل من الشتائم.

خرجت من السيارة، ونظرت حولها. راحت تتأمل ما يحيط بها، ثم مشت من جديد. أشجار الأرز وسواها من الأشجار الدائمة الاخضرار تصطف على جانبي الطريق. لم ترَ أي منزل أو مكان عمل أو حتى إشارة. إنها في وسط المجهول، وعلى طريق - كما يبدو - لا يسلكها أحد، وهي لا تملك أي مبلغ من المال أو أي شيء آخر باسمها.

عصفت رياح قاسية ضربت وجهها، فوضعت يديها المخدرتين في جيبي سترتها الجينز الرقيقة.

فكرت روز بحزن: حظي لن يتغير أبداً!

تحولت الشمس إلى كتلة ذهبية اللون فيما هي تتجه نحو الغياب دافعة درجة الحرارة المتجلدة إلى التدني أكثر فأكثر. نظرت روز إلى رسغها قبل أن تتذكر أنها رهنت ساعتها وقرطيها الوحيدين في البلدة السابقة لتتمكن من شراء الوقود. نصف ثمن القرطين على الأقل ما زال في خزان السيارة، لكن ما الذي ستجنيه من ذلك الآن؟

أمسكت حقيبتها الصوفية، فأخرجتها من المقعد الخلفي للسيارة،

وأخذت تفكر بالخيارات المتاحة أمامها. على بعد أميال قليلة سابقة، مرت روز أمام مقهى على الطريق. إن كانت هناك طاولة للعب الورق، بإمكانها أن تَعِد نفسها بوجبة طعام جيدة، وربما ستجني ما يكفي من المال لتحصل على غرفة رخيصة في فندق ما. لكن التوجه إلى الأمام هو الخيار الوحيد الذي تؤمن روز أنه سبيل السفر. اتخذت قرارها، وبدأت بالسير.

بعد أقل من ميل واحد، بدأت تتساءل كم تحتاج من الوقت لتتجمد حتى الموت. في تلك اللحظة سمعت صوت سيارة قادمة. في الواقع، صوت الموسيقى الصادح هو ما شد انتباهها أولاً أكثر من صوت محرك السيارة الحمراء. تراجعت إلى الوراء، فارتطم إبهام قدمها بالأرض، لكن لم يكن هناك من داع لتزعج نفسها، فقد أبطأ السائق سرعته، وأوقف الجيب وراءها تماماً.

رأت رجلاً يجلس وراء المقود، فدفعت كتفيها إلى الخلف وتظاهرت أنها لا تهتم لكونها امرأة وحيدة تسير على جانب طريق عام مهجور عند الغروب.

أنزل الرجل زجاج النافذة وهو يخفض صوت الموسيقى، ثم قال: «مرحباً!»

- مرحباً!

الآن أصبحت روز قادرة على النظر إليه بصورة أفضل، فقدرت أنه في أواسط الثلاثينيات من عمره، ذو شعر بلون القهوة الكثيفة منسدل بترتيب وعناية أما عيناه فداكنتان. راودها شعور أن نظرته الثاقبة لا تفوت شيئاً. مع ذلك، بدا لها أن الخيوط المرتسمة على صدغيه هي من ذلك النوع الناتج عن الضحك والوقت الذي يمضيه في الخارج لا عن الأعمال الدنيئة. بشكل عام، بدا الرجل محترماً وشريفاً بما فيه الكفاية، فشعرت روز أن أعصابها المتوترة استرخت بشكل واضح.

أشار الرجل بإبهامه من فوق كتفه قائلاً: «أتلك سيارتك هناك؟»

هزت روز رأسها، وقررت أن تبقي أجوبتها مختصرة وغير ملتبسة، فقالت: «مشاكل في المحرك».

أصدر الرجل صوتاً يظهر تعاطفه معها قبل أن يسألها: «إلى أين تتجهين؟»

كادت تقول إلى الغرب... وتلك هي الحقيقة، لكن بما أن معظم الناس يتوقعون سماع اسم مكان محدد تصورت أنه قد يشعر بالشك، وآخر ما تريده روز الآن هو أن تثير الشكوك لدى الشخص الوحيد الذي يحول بينها وبين التجمد من البرد، لذلك قالت: «إلى ويسكونسن».

إنها المقاطعة التالية التي سوف تصل إليها أثناء رحلتها إلى الغرب، لذا فإن هذه ليست كذبة.

- أخشى القول إنني لست ذاهباً إلى هناك.

شعرت بقدميها تتجمدان من شدة البرد. قالت: «آه! إلى أين أنت ذاهب؟»

- إلى تشينس هاربور. إنها في الشمال الغربي من هنا في منتصف الطريق بين جبال بوركيبين وهانكوك. يمكنني أن أقلك إلى إحدى البلدات الصغيرة التي سنصل إليها قبل الوصول إلى شمال الولايات المتحدة، ومن المؤكد أنك ستجدين ورشاً لتصليح السيارات.

كررت قائلة: «تشينس هاربور! لا أتذكر أنني رأيت هذا الاسم على الخريطة».

ضحك الرجل بصوت عال، وعلق: «إنها بلدة صغيرة جداً، لدرجة أن الكثير من الخرائط لا يذكرها، لكن لو سألت أي صياد سمك فهو سيحدثك عن المكان. البعض يطلق عليها اسم مرفأ الفرصة الأخيرة، لأنها إحدى الأماكن القليلة الآمنة التي يمكنك فيها مواجهة أي عاصفة قبل التوجه نحو كيوينا وبنينولا».

فكرت روز: مكان آمن! أهناك حقاً وجود لمثل هذا المكان؟ طيلة سنوات عمرها الست والعشرين لم تجد أي مكان آمن. مع ذلك أعجبت بالاسم، وبما أن حياتها كلها مجرد فوضى كبيرة، اتخذت قرارها على الفور.

- سأذهب إلى هناك.

- أتعنين إلى تشينس هاربور؟

رفع الرجل حاجبيه السوداوين بدهشة، ورأت التفكير والتأمل واضحين في نظرته. تابع قائلاً: «وماذا ستفعلين بسيارتك؟»

قالت بصراحة: «لن تذهب إلى أي مكان. تفاجأت أنها تمكنت من اجتياز الأميال الأخيرة».

- إن كنت متوجهة نحو ويسكونسن فتشينس هاربور ستبدو لك متواضعة جداً.

- لا بأس بذلك. سأعتبرها رحلة للتمتع بالمناظر الطبيعية. أنا بحاجة إلى عمل مؤقت على أي حال، فهل تعتقد أنني سأجد عملاً هناك؟ أعاني من نقص في مدخراتي.

فكرت بحزن أنها لا تعاني فقط من نقص... إنها لا تملك أي فلس.

- هذا ليس فصل السياحة عندنا، لكنك قد تجدين عملاً ما، إنما لن تحصلي على أكثر من الحد الأدنى. أيناسبك ذلك؟

رمت روز حقيبتها الصوفية في المقعد الخلفي للجيب، وأجابت: «هذا أكثر من كاف بالنسبة لي».

عندما بدأت السيارة تجتاز الطريق أدار الرجل الموسيقى من جديد، لكنه لم يرفع الصوت كالسابق. مع ذلك ظلت الموسيقى تصدح داخل السيارة، فيما تردد صداها داخل معدتها الفارغة. متى تناولت طعاماً لآخر مرة بالتحديد؟

هل يمكن اعتبار ألواح الشوكولا الرقيقة التي وجدتها في جيب

سترتها في الصباح وجبة؟ قررت روز أن تركز على الموسيقى بدلاً من التفكير بجوعها.

لم تفكر للحظة أن الرجل من المعجبين بالأغاني الحديثة. يبدو على أنه من المعجبين بأغاني الخمسينيات والأغاني الريفية بالرغم من أنه يرتدي سترة طويلة وسروالاً من الكتان باهت اللون. لو أنه يعتمر قبعة رعاة البقر ويمتطي ظهر حصان جامح فسوف يبدو فعلاً في بيئته، لكنه يبدو نظيفاً جداً فلا يظن المرء أنه يستمتع بالأنغام الصاخبة لموسيقى الهارد روك. مع ذلك رأته ينقر بإبهاميه على المقود تماشياً مع الموسيقى.

نظر الرجل نحوها، وقال: «اسمي مايسون، مايسون سترايكر».

- روز.

انتظر مايسون للحظة، وبدا من الواضح أنه راغب في سماع اسم عائلتها، وعندما أحجمت عن قوله قال: «يسعدني لقاؤك، روز. أخبريني عندما تشعرين بالدفء الشديد».

الدفء الشديد؟! كادت روز تضحك، فقد فقدت كل إحساس بأصابع قدميها وهي لن تتردد في إقحامها في النار مباشرة بكل فرح وحماس، لكنها قالت: «سأفعل».

تراجعت إلى الوراء في مقعدها وهي تمد ساقيها. بدأ الهواء الساخن المنبعث من الشاحنة يذيب الخدر من أوصالها. أراحت روز رأسها على مسند المقعد راغبة في أن ترتاح قليلاً، ولم تدرك أنها أغمضت عينيها واستسلمت للنوم حتى بدأ أحدهم يهز ذراعها.

استيقظت بسرعة كما تفعل الأفعى المجلجلة تقريباً إن حاول أحدهم العبث بوكرها. هذا ما فكر به مايسون: قاومي أو اهربي! هذا ما رآه بوضوح من خلال الحركة السريعة في جسدها.

سألته بعصبية: «ماذا؟».

كومت يديها في قبضتين صغيرتين شديدتين بسرعة مثيرة للشفقة، وأدرك أنها ستستعملهما إن احتاجت إلى ذلك، فقرر أن يتظاهر أنه لم يلاحظ ردة فعلها الحادة.

رأى ردة الفعل هذه من قبل أثناء عمله السابق، أما الأسباب الكامنة وراءها فلم تكن مرة مقبولة. في الواقع، من يقومون بها هم الأشخاص الذين تدور حولهم أخبار الساعة السادسة، وهذا سبب جزئي في عودة مايسون إلى تشينس هاربور.

لم يعد راغباً أبداً بمحاولة حل مشاكل الآخرين، لكن بدا له في هذه اللحظة أنه ينافق إلى حد ما، فها هو يقدم المساعدة للمرأة ويقلها بسيارته. لكنه لا يستطيع أن يتركها على جانب الطريق العام، فيما الحرارة تتدنى إلى درجة تحت الصفر. أكد مايسون لنفسه أن الرحلة هي نهاية مساعدته لها. مع ذلك، ما إن أطفأ المحرك وخرج من السيارة حتى سمع نفسه يقول: «هيا، ادخلي! سنرى إن كنا سنجد لك مكاناً تمكثين فيه».

خرجت روز من السيارة على مهل مترددة في الابتعاد عن الدفء الذي أخذ يتلاشى في الحال. لاحظت أن الشمس غابت كلياً، وهكذا أصبح من الصعب عليها أن ترى أي شيء سوى المبنى أمامها.

- أين نحن؟

- في مقهى البلدة.

- يمكنني أن أقرأ.

حاولت روز ألا تبدو هجومية في تعليقها، مع ذلك لم تتمكن من قراءة الأحرف في اللوحة المشرقة الأنوار. سألته: «لماذا توقفنا هنا؟»

أجاب مايسون: «إنها نهاية الرحلة، بإمكانك أن تجري اتصالاتك من أجل تصليح سيارتك والبحث عن مكان تمكثين فيه».

سار عبر المدخل حيث سمعت عاصفة من الأجراس ترن معاً،

وهكذا لم يبقَ أمامها أي خيار إلا أن تتبعه.

لم يتغير القسم الداخلي لمقهى المنارة كثيراً مع مرور السنين، أي منذ أن أسسه جد مايسون دانيال سترايكر. يشعر مايسون كأنه يعود إلى منزله كلما دخل إلى هذا المقهى الذي استلمه من والده منذ سنة واحدة. قام في الواقع بإجراء بعض التعديلات والتغييرات تماماً كما فعل والده من قبله. الطاولات والكراسي جديدة وكذلك علبة الموسيقى وشاشة التلفزيون التي تغطي قسماً من الجدار، بالإضافة إلى طاولة البلياردو. لكن الطاولة الكبيرة المصنوعة من خشب الماهوغاني الأصلي في الناحية الخلفية من المقهى ما زالت هي نفسها، وكذلك الحاجز النحاسي الأصفر الذي يحملها.

لم يفكر مايسون يوماً أنه سيصبح مالك هذا المقهى، لأنه أراد عملاً آخر مليئاً بالمغامرة أكثر من إدارة مقهى وقد حصل عليه فعلاً.

شعر بالألم بسبب جرحه القديم ففرك كتفه. يمكن للرصاصة أن تترك تأثيراً كبيراً في جسم الإنسان، إلا أنها تترك تأثيراً أكبر على روحه. تلك الضربة القاسية أخبرته بذلك. أبعد مايسون من ذهنه تلك الذكرى الأليمة. عاد إلى هنا كي ينسى لا ليسهب في التفكير بكل ما جرى معه من أخطاء.

لم يكن هناك حشد كبير في مقهى المنارة، فما زال الوقت مبكراً. على العكس من والده وجده، مايسون لا يشعر بالقلق بشأن ما سيجنيه من عمله، فهو يدير المقهى فقط ليفعل شيئاً ما لا ليجني عيشاً مترفاً. لديه ما يكفي من المال في المصرف إذا أراد العيش مقتصداً، وهو ليس بحاجة إلى العمل ثانية. حف كتفه مرة ثانية... حسابه الوفير في المصرف لم يأته من دون ثمن باهظ.

راقب المرأة الشابة وهي تنظر حولها في المقهى. إنه مستعد للمراهنة بأن عينيها تحددان المخارج في المكان، لكن كل ما قالته:

«إنه مكان جميل».

- يعجبني كثيراً. اجلسي!

جلست على كرسي بلا ظهر، ولم تكن سريعة بما يكفي لتخفي دهشتها عندما رفع مايسون قطعة من خشب الماهوغاني عن يمينها تماماً وسار ليصبح وراء الطاولة الكبيرة.

- هل تعمل هنا؟

- شيء من هذا القبيل. أنا أملك المكان.

- لا تبدو كمالك مقهى.

سألها مايسون وهو يشعر بالمرح ولو بشكل غامض: «وكيف يبدو أصحاب المقاهي؟»

رفعت روز كتفيها، وأجابت: «لا أعلم... أسنانهم سوداء، شعرهم وسخ، ولديهم بطون كبيرة وأوشام على أذرعتهم».

- أنا لا أملك أي صفة من الصفات الثلاث الأولى.

- ألديك وشم؟

ابتسم مايسون، وسألها: «أتريدين تناول شيء ما؟».

تذكر مايسون أنه سمع قرقرة معدتها، لكنها هزت رأسها وأجابت: «لا. أنا بخير».

قال بإصرار: «هل أنت متأكدة؟ كل شيء موجود هنا».

فشعرت روز بالارتياح، وقالت: «حسناً! أي شراب غازي إذاً».

عاد وهو يحمل كوباً نظيفاً، فلمحها تمسك بيدها بعض الفستق من صحن قريب منها. وضع المشروب الغازي أمامها، وقرب الصحن منها، ثم قدم لها هاتفاً محمولاً.

- مرآب كاسي هو الأفضل هنا.

وقبل أن يبحث عن رقم الهاتف، وضعت يدها على ظهر يده وهزت رأسها قائلة: «اسمع! أفضل ميكانيكي في العالم لن يتمكن من

تصليح تلك السيارة. وحتى لو تمكن من إصلاحها، فأنا لا أستطيع تأمين ثمن جرها إلى هنا. هل تعرف شخصاً يستطيع أخذها كخردة؟»

ألقى مايسون نظرة خاطفة على يدها قبل أن تسحبها بسرعة، فلاحظ أصابعها الطويلة الرشيقة. ومع أن يدها بدت باردة كالجليد إلا أنه أحس بحرارة غريبة تسري في جسده، لكنه عزا الأمر إلى سنة من الحرمان من أية علاقة غرامية: «بالطبع».

ابتعد بسرعة محاولاً عدم التأثر بأي لمسة منها، وسار مسافة وراء الطاولة، ثم قال: «مرحباً، ميكي. أما زالوا يأخذون سيارات للخردة في تلك الباحة قرب تقاطع بروس؟»

- هذا ما أعرفه.

- هل ترغب في قطر سيارة هذه السيدة إلى هناك؟

- بالطبع!

همست روز: «لا أستطيع أن أدفع له».

نظر مايسون نحوها، ثم أضاف: «ستعطيك كل ما تجنيه السيارة بعد أن تأخذ مئة دولار لنفسها».

رفع ميكي كتفيه بلا مبالاة، وعلق: «حسناً! أين السيارة؟»

- على بعد خمسة أميال شرق الطريق ٤٥.

هز ميكي رأسه، ثم حف ذقنه قبل أن يسأل: «أظنها ستكون السيارة الوحيدة هناك، لكن على أي حال، ما هو لونها؟»

أجاب مايسون بوجه جامد: «بلون الصدأ».

ضحكت روز بتردد في البداية ثم بصوت عالٍ، وكاد مايسون يراهن أن هذه هي الضحكة الأولى التي استمتعت بها منذ وقت طويل جداً. مرة ثانية وجد نفسه يتساءل ما هي قصتها، وما الذي يجعلها بمثل هذا الحذر والتوتر؟ ومرة ثانية عاهد نفسه ألا يتورط في حل مشاكلها.

حل الظلام بشكل كامل في الخارج، وافترضت روز أن عليها

المغادرة، لكنها لا تعرف مكاناً آخر لتذهب إليه، كما أنها أخيراً شعرت بالدفء تماماً. اتجه مايسون إلى الداخل عبر البابين المتأرجحين اللذين افترضت أنهما يوصلان إلى المطبخ، لكنها لم تشعر بأي انزعاج وهي تجلس بمفردها فيما بدأ الناس يتوافدون إلى المقهى. رأت رجلين يلعبان البلياردو، وفكرت في مشاركتهما اللعب. لاحظت أنهما ماهران في اللعب، لكنها تصورت أنها أكثر مهارة.

تناولت كمية لا بأس بها من الفستق، فتخلصت من إحساسها بالجوع، لكنها لا تمانع بتناول وجبة أكثر إشباعاً. كادت روز تنهض من مكانها لتعرف عن نفسها، وفي تلك اللحظة عاد مايسون.

- هاي، روز! أنت تريدين عملاً، أليس كذلك؟

جلست باستقامة على الفور، وأجابت: «أجل».

- هل عملت نادلة من قبل؟

- مرة أو مرتين.

- حسناً! إحدى النادلتين عندي استقالت للتو والثانية بقيت في المنزل لأنها تعاني من الإنفلونزا. إذا كنت راغبة بالعمل يمكنك البدء منذ الآن. العمل هنا ليس سيئاً، كما أن الإكرامية مقبولة جداً.

قاومت روز بشدة كي لا تبدو ابتسامتها فاضحة. قالت: «حسناً! أعتقد أنني أستطيع مساعدتك».

بعد مرور ساعة، كانت تسحب طلباً عن الطاولة وتضيف نكهة الفاكهة على شراب مرّ باليد الأخرى.

قال مايسون من وراءها: «أعتقد أنك فعلاً عملت نادلة من قبل».

بدا قريباً منها بشكل معقول جداً، على الرغم من المساحة الضيقة وراء الطاولة. مع ذلك شعرت أنه سيلمسها ولو لمسة خفيفة وهو يمر قربها، لكنه بالكاد وضع قطعتين من الهمبرغر على صينية فوق الطاولة وسار مبتعداً عنها قليلاً.

- أجل. عملت أيضاً على صندوق الحسابات في متجر، وبعت العلف في مستودع للحبوب، وعملت طاهية لفترة قصيرة وحاجبة في فندق، وأخيراً عملت نادلة في كازينو في سانت أغيناس.

- ألديك أي مواهب أخرى بعد؟

لم يكن هناك أي مغزى مبطن في نبرته، أو أي لمحة خبيثة في النظرة التي رمقها بها باهتمام واضح.

- أنا طاقة غير مقولبة.

أصبحت روز أكثر حزناً بعد أن قالت ذلك. فهذا ما قاله المسؤول عنها بعد أن تم إرسالها إلى مركز جديد للرعاية. يبدو أن مايسون لم يلاحظ تبدل مزاجها المفاجئ إذ قال: «يسعدني سماع ذلك».

عاد للتحدث عن العمل من جديد، فغمزها قبل أن يميل برأسه ويتابع: «أترين ذلك الرجل في آخر المقهى؟»

- أجل.

- هذا بوب بالي. إنه يأتي إلى مقهى المنارة منذ أن أسس جدي المكان. قدمي له مياه معدنية مع قطعة من الحامض عندما تحظين بوقت فراغ.

ثم ابتعد إلى الداخل.

غادر معظم رواد المقهى، ولم يبق غير بعض الأشخاص المنغمسين في الأحاديث وتناول الشراب حول الطاولة الكبيرة. بدأ مايسون بوضع الكراسي على الطاولات وكنس الأرض ليزيل عنها كومة من الفستق والقشار. في المطبخ، عمل الطاهي وهو رجل متقدم في العمر يدعى بارغن على إعداد حساء اليوم التالي. لم تدرِ روز إن كان هذا اسمه أم اسم عائلته، لكنها فهمت أن المطبخ يخصه وحده، أو هذا ما أعلمها به ما إن أدخلت رأسها عبر الباب المتأرجح وحاولت أن تسرق قطعة بطاطا مقلية.

أحست روز بالتعب الشديد، كما عضها الجوع من جديد. أصبح لديها الآن اثنان وثلاثون دولاراً من الإكرامية في جيبها، والأفضل من ذلك أنها حصلت على مكان تنام فيه هذه الليلة. ما إن كادت تنتهي من غسل آخر كوب زجاجي حتى دخل مايسون.

- أحضرت لك بعض الأوراق القانونية لتملأيها.

- بالطبع.

استدارت حول الطاولة الكبيرة وجلست على الكرسي نفسه الذي جلست عليه عند وصولها. بدا المقهى مختلفاً الآن بفضل المصابيح العديدة التي تنيره. نظرت إلى الصور المعلقة على الجدار قرب رف عريض يحتوي على أنواع الشراب. إنها صور عائلية أو هذا ما تبدو عليه. صور بالأبيض والأسود وأخرى ملونة يظهر فيها رجال ونساء في مختلف الأعمار، يمسكون بأيدي بعضهم أو يضمون بعضهم ويضحكون. أطفال يرتدون ثياب جميلة ويقفون أمام آلة التصوير بابتساماتهم الواسعة التي تصل إلى عيونهم. أضفت الصور إحساساً بالدفء والإلفة على المقهى. عاودها الاحساس بالحسد بسرعة، ذلك الاحساس الذي ما زال يفاجئها حتى الآن. حتى متى ستظل تلاحق حلمها الدائم بأن تكون لها عائلتها الخاصة؟

- هذا طلب توظيف والورقة الثانية هي الموافقة على التوظيف، وهكذا ستتمكن الدولة من أخذ حصتها.

بدا طلب التوظيف نموذجياً ومن السهل قراءته. هذا ما قدرته روز التي لم تتمكن من الحصول على الشهادة الثانوية. حتى قبل أن تغادر المدرسة كانت القراءة أمراً صعباً عليها، ولولا قانون التعليم الإلزامي في المقاطعة لتخلت عن التعليم منذ المرحلة الابتدائية في مترو ديترويت.

كانت روز في بداية المرحلة الثانوية عندما بلغت الثامنة عشرة من

عمرها. عندئذٍ لم يعد للولاية أي دور في رعايتها، فأصبحت حرة لتتخلى عن الدراسة. إنها أمية فعلياً! هذا ما قاله عنها أحد مستشاري مركز الرعاية. كما تعلم روز أن بعض الناس يعتقدون أنها مجرد غبية.

ودع مايسون آخر زبون لديه، وعندما استدار وقع نظره على المرأة التي استخدمها بصورة تلقائية في وقت سابق من هذا المساء. ما زال حتى الآن لا يعلم بالتحديد ما السبب الذي دفعه إلى القيام بذلك. ألم يُقسم على عدم مساعدة النساء اليائسات أو حتى أي شخص ضال أو ضائع بعد إصابته بطلق ناري بسبب اندفاعه؟

بالطبع! هو بحاجة إلى مساعدة في المقهى، أكد لنفسه أن هذا هو السبب الوحيد الذي دفعه للقبول بهذه المرأة الحساسة السريعة الغضب، والتي تبدو بحالة يائسة بالفعل. نظر بتمعن إلى جانب وجهها وهي تملأ الطلب الذي أعطاها إياه. مالت برأسها وهي تدرس الطلب باهتمام، فيما ظهر طرف لسانها من بين أسنانها الأمامية. لم يشأ أن يعترف أن شيئاً ما في هذه المرأة أثر فيه بقوة.

أهو الانجذاب؟ لا شك أنها جذابة على الرغم من الاهمال الذي يبدو عليها، فشعرها الأشقر الداكن قصير كشعر الفتيان، بل هو قصير جداً عند العنق ويلتف بشكل نصف دائري فوق صدغها الأيسر. إنه مستعد للمراهنة أنها قصّته بنفسها. بدت عيناها الزرقاوان باهتتين وجفناها خاليين من أي مسحة للزينة، كذلك شفتاها اللتان هما أكثر ملامحها أنوثة. إنها طويلة القامة ونحيلة جداً. ذلك النوع من النحافة لا يتأتى عن اتباع حمية أو القيام بتمارين رياضية بل من توتر الأعصاب وقلة الطعام. إذا ما تأمنت لها وجبات مقبولة لمدة شهر واحد ستصبح كعارضات الأزياء تماماً. سوف يغدو جسمها متناسقاً و... أبعد مايسون هذه الفكرة من رأسه، وسار نحوها.

قالت روز بنبرة هجومية: «أكاد أنتهي».

- لا داعي للعجلة.

قرأ ما كتبته من فوق كتفها، لكن إن كان مايسون يأمل بأن يرضي فضوله فقد أخطأ، لأن نصف طلب التوظيف بدا فارغاً، أما النصف الآخر فكتب بحذر وبأحرف متباعدة أشبه بكتابات الأطفال.

لم تذكر أي عنوان أو رقم هاتف ولا حتى اسم أي قريب أو نسيب، وليس هناك تاريخ ميلاد، لكن اسمها الكامل لفت انتباهه: «روزاليند بانيت». بدا الاسم لطيفاً جداً لامرأة حادة الطباع تمسك القلم بشدة بأصابع غليظة وأظافر قُلمت بسرعة. فكر أن اسم روز لا يناسبها. أنهت روز الكتابة وسلمته طلب التوظيف وهي تحدق به بنظرة هجومية، كأنها تتحداه أن يتذمر.

- لا أمانع إن لم تكتبي كل المعلومات، لكنني بحاجة إلى تاريخ الميلاد.

رمشت روز بعينيها، وبدت مستعدة لشيء من المواجهة. قالت: «أنا في السادسة والعشرين من عمري، ولدت في الأول من شهر شباط».

- هذا اليوم... لا، البارحة.

قال ذلك وهو ينظر إلى الساعة المعلقة على الجدار. لم تظهر على وجهه أية عاطفة حتى ولا شبه ابتسامة عندما أضاف: «عيد مولد سعيد».

- في أي وقت تحتاج إلي هنا يوم غد؟

سارت روز إلى الناحية التي وضعت فيها حقيبتها وسترة الجينز.

- في الساعة السادسة أو قبل ذلك بقليل إن أردتِ أن تأكلي قبل بدء دوام عملك. من حق الموظفين تناول وجبة مجانية. لديك استراحة مدتها نصف ساعة عند الساعة التاسعة، لكن معظم الناس يرغبون في تناول طعامهم باكراً.

ارتدت روز سترتها، وحملت الحقيبة فوق كتفها، ثم قالت: «أراك في الغد».

ما إن كادت تصل إلى الباب حتى تذكر مايسون أصول الضيافة، فقال: «هاي... انتظري! لا أدري بماذا كنت أفكر. لا مكان لديك للبقاء فيه».

- وجدت مكاناً. لا تقلق.

قطب جبينه وقال: «آه! إذاً، دعيني أُوصلك. أنت من دون سيارة الآن».

- لا حاجة بي إلى السيارة.

خرجت روز من الباب، وغادرت قبل أن يتمكن من التقاط معطفه. تساءل أين تراها ستنام، وكيف وجدت مكاناً لتنام فيه بينما كانت تعمل طوال الوقت... ثم تذكر أنه رآها تتحدث إلى رجلين من مستخدمي سيارات التزلج قبل الاقفال بقليل. هذان الرجلان ليسا من سكان البلدة، ومن المحتمل أنهما يتجهان شمالاً وربما ينزلان في الفندق على بعد نصف ميل من هنا.

حسناً! روز بانيت ليست من ضمن اهتماماته. ما دامت ستحضر للعمل في الغد، هو لا يهتم مطلقاً أين ستنام أو مع من.

سارت روز حول الحانة، واختبأت خلف مكب النفايات. تمنت ألاّ يطول الوقت حتى ينتهي كل من مايسون ويارغن من عملهما ويغادرا. مرت خمس عشرة دقيقة وأكثر قبل أن تسمع باب المقهى يفتح. كان الثلج الناعم يتساقط، وشعرت بقدميها يتحولان إلى لوحين من الجليد داخل حذائها الرياضي.

تمتمت لنفسها عندما سمعت مايسون يتمنى ليلة سعيدة للطاهي: «حان الوقت».

فُتح بابا السيارتين ثم أغلقا، بعدئذٍ أدير محرك واحدة منهما ثم تبعه

الآخر. أخيراً سمعت صوت السيارتين تنطلقان على الطريق، وبعد لحظات غادر الرجلان.

أخرجت يديها من جيب سترتها، وحفتهما ببعضهما جيداً بحثاً عن بعض الدفء، ثم بدأت بالعمل. وضعت ألواحاً خشبية فوق بعضها البعض، وعندما أصبح لديها أكثر من نصف دزينة منها في كومة واحدة، تسلقتها روز، ثم وقفت ومالت نحو نافذة غرفة الحمام الصغيرة التي فتحتها في وقت سابق في المساء. لم تتمكن من فتح النافذة في البداية، ما جعلها تتساءل إن كان أحدهم قد أقفلها مجدداً. لكن بعد قليل فُتحت مصدرة صريراً مزعجاً. أزعجها ضميرها قليلاً عندما لحقت بحقيبتها عبر الفُتحة ورمت بنفسها إلى الداخل

أقبل الصباح قبل أن تستعد روز له، لكنها معتادة على الاكتفاء بساعات قليلة من النوم. افترشت الأرض في غرفة صغيرة للمؤونة قرب المطبخ مستخدمة حقيبتها كوسادة. والآن، مع أشعة الشمس المتسللة عبر النافذة، أدركت أن الغرفة هي جزء من مكتب مايسون. رأت مكتباً خشبياً ضخماً يحتل زاوية من الغرفة. إنه مكتب قديم، لكن تم الاعتناء به جيداً، كما تم طلاؤه حديثاً. بدا جهاز الكومبيوتر وآلة الفاكس على سطحه جديدين وحديثي الطراز. قرب المكتب هناك خزانة من المعدن مؤلفة من أربعة أدراج، وعلى سطحها رأت روز أسوأ نبتة يمكن لشخص رؤيتها.

تمتمت وهي تقف وتتمطى: «نبتة... لا تبلغ طول... الابهام!»

بدت الرفوف التي تغطي أحد الجدران قرب الباب مليئة بالموارد الطبيعية: من أنواع المخللات التي تستعمل مع الهمبرغر إلى مزيج المارغرين مع زبدة الفستق وسواها... سمعت قرقرة معدتها كأنما لتذكرها بأنها ما زالت خاوية. أبعدت الجوع عن أفكارها، وقلّبت كومة من الأوراق موضوعة على رف تحت النافذة. رأت هناك أيضاً

كتباً سميكة ومليئة بكلمات من أحرف كبيرة. هناك كلمات تستطيع قراءتها بسهولة وأخرى عليها أن تقرأها بحذر، وحتى لو فعلت فهي ليست متأكدة من أنها تعرف معانيها. من جديد، شعرت بطعنة حادة من خيبة الأمل لأنها لا تجيد القراءة بما يكفي لتستمتع بما تقرؤه. بدا لها أن القراءة هي الوسيلة الأنجح للهروب من هموم هذا العالم، وبالنظر إلى تلك الكتب التي بليت أوراقها من كثرة الاستعمال أدركت أن مايسون يفكر على هذا النحو أيضاً.

تجولت في المكان لتصل إلى المطبخ. دفعت الباب بشجاعة لأنها علمت أن الطاهي ليس هناك. ستتناول شيئاً ما، ربما قطعة توست أو كوب عصير... أي شيء يزودها بالطاقة لتتمكن من ترك دفء المكان والسير تحت درجة حرارة جليدية حتى تجد مطعماً يقدم الفطور. وجدت رغيف خبز على أحد الرفوف قرب المدفأة فقطعت قطعتين رقيقتين، ثم فتشت في البراد الضخم فوجدت بعض الزبدة. هذا كل ما ستأخذه... لكنها لمحت اللحم المجفف فشعرت بلعابها يسيل؛ البروتين! كادت روز تبكي لشدة حزنها.

ما إن بدأت بقطع قطعة سميكة من اللحم المدخن حتى سمعت قفل الباب الأمامي يتحرك. أعادت اللحم إلى البراد، وأخفت الخبز وقطعة الزبدة داخل قميصها، وأسرعت بالتوجه إلى الغرفة المجاورة. من خلال شق صغير، راقبت مايسون يدخل مع امرأة جميلة تسير وراءه تماماً. سيطرت عليها موجة من خيبة الأمل بالرغم منها. إذاً، هو متزوج. يا للخسارة! كان عليها أن تحزر بنفسها، فالرجال الوسيمون اللطفاء لا يمكن أن يبقوا بدون زواج.

أغلقت الباب بهدوء وتسلقت جهاز التحكم بالحرارة، وسرعان ما أصبحت خارج النافذة واقفة على الألواح الخشبية قبل أن تتذكر أن حقيبتها الصوفية ما زالت في مكتب مايسون.

٢ ــ سارقة!

يحب مايسون شقيقته مارني كثيراً، لكنها تصبح مزعجة في بعض الأحيان. إنها تصغره بخمس سنوات، ومع ذلك فهي تعامله كأنه ابن لها منذ أن تقاعد والداهما وسافرا إلى أريزونا.

تزوجت مارني منذ فترة قصيرة، ويبدو واضحاً أنها عزمت الرأي على أن كل شخص غير متزوج أو راغب في الزواج بحاجة إلى مساعدة جمة لتحسين مساره، وقد جعلت من ذلك رسالتها في الحياة.

- ما أقوله هو أنه مضى على عودتك إلى تشينس هاربور أكثر من سنة، ومع ذلك لم تخرج برفقة أية امرأة.

وضع مايسون صندوق العدّة الذي يحمله على الطاولة الكبيرة، ونزع عنه معطفه وهو يقول: «وكيف تعرفين ذلك بالتحديد؟»

أدارت مارني عينيها بحركة معبرة. بما أنها توازيه طولاً وهي تنتعل حذاء ذا كعبين عاليين، استغلت مارني هذه الفرصة لتقف على أطراف أصابع قدميها وتنظر إليه من فوق أنفها.

- المرء ليس بحاجة إلى تحرٍ ليعلم ذلك، مايس. أنت نكد المزاج، وتعمل كل ليلة وفي عطل نهاية الأسبوع، وقد أخبرتني باني صاحبة متجر الوجبات الجاهزة أنك تشتري الكثير من تلك الوجبات التي لا تحتاج إلا لتسخينها في المايكروايف.

تمتم مايسون: «بارك الله القرى الصغيرة! هل هناك ثرثرات أخرى تدور في البلدة بشأني؟»

- هذه ليست ثرثرة.

مع أنه يعلم أنه سيندم على طرح سؤاله، لكنه قال: «ماذا إذاً؟»

- كل ما في الأمر أن الهيئة التشريعية لن تمثل من جديد المنطقة الغربية، ويعتقد الكثير من الناس في المنطقة أنك خيار جيد.

- مارني، لا! أنا لم أولد لأتعاطى السياسة.

- أنت نزيه وصادق جداً، أعلم ذلك. أعتقد أن هذا هو سبب إعجاب الناس بك، مايسون. فمواهبك ضائعة هنا.

أوقفه كلامها عن متابعة سيره، فقال: «أحب إدارة المقهى».

- كهواية، ربما! لكن هذه ليست حياتك.

- بدا الأمر مناسباً جداً لأبي ولجدي أيضاً.

- ذلك كان خيارهما. مقهى المنارة بدا كالحلم بالنسبة إليهما، أما بالنسبة إليك فهو مكان مناسب للاختباء فقط.

- لست مختبئاً، بل أستعيد صحتي.

- مايسون!

- انتهى نقاشنا.

ما إن اتجه نحو مكتبه حتى سمع صوت باب المقهى الأمامي يفتح، وسمع صوتاً يقول: «صباح الخير!»

استدار ليجد النادلة الجديدة واقفة تماماً عند الباب. نور الشمس الصباحي من خلفها جعلها تبدو أشبه بالظل، لكن حتى لو لم تتكلم أو بقيت واقفة في الظل فهو سوف يتعرف عليها لأنها نحيلة جداً.

قال مايسون بنبرة عالية: «صباح سعيد».

تقدمت روز بتردد إلى الأمام، لكن بما يكفي لتصبح ملامحها واضحة. ما إن أخذ يراقبها حتى ابتسمت بقلق، ونقلت نظراتها بالتساوي بينه وبين مارني. شعر بانقباض في معدته عندما لاحظ أنها لا تزال ترتدي الثياب التي كانت ترتديها في اليوم السابق. قبل أن يتمكن من زجر نفسه، تساءل من جديد أين أمضت الليل وبرفقة من. لا تبدو

روز من النوع السهل، لكنه يشك أن المال الذي قبضته ليلة أمس كافٍ لتدفع أجرة غرفة في فندق عادي.

- هاي! أخبرتك أن العمل يبدأ عند الساعة السادسة. أليس كذلك؟

- أجل.

بدت متوترة بالفعل، ولأول مرة منذ أن التقى بها.

- كنت أتمشى قليلاً ورأيتك قادماً إلى المقهى. اعتقدت أنك بحاجة إلى من يعمل لديك في وقت مبكر.

- أنا هنا فقط لتصليح المغسلة في غرفة الحمام، فهي ترشح قليلاً.

نظر إلى ساعته قبل أن يتابع: «دوام عملك لا يبدأ قبل تسع ساعات».

- أعلم.

رطبت روز شفتيها، فراوده شعور أنها تبحث عن عذر آخر.

وكزته مارني في ضلوعه قائلة: «ألن تقدمنا إلى بعضنا؟»

- آه، بالطبع! مارني، هذه روزي النادلة التي استخدمتها مكان كارول. مارني شقيقتي.

- اسمي روز.

قالت روز ذلك في الوقت الذي قالت فيه مارني: «هل استقالت كارول؟»

- قرر بوب البارحة أن يتجها إلى ولاية جديدة بحثاً عن عمل.

ثم تابع مفسراً لروز: «بوب هو زوجها، وهو بدون عمل منذ الشتاء الماضي».

سألت مارني: «ما الذي تفعلينه في تشينس هاربور؟»

شعر مايسون بالانزعاج بسبب افتقاد شقيقته لحس الضيافة، لكن بدا أن المرأة لم تنزعج مطلقاً من السؤال.

- أبحث عن عمل.

ضحكت مارني على الفور، وعلقت: «لا يأتي الناس إلى مرتفعات بانسوليا بحثاً عن عمل، عزيزتي! هل أنت متأكدة أنك لا ترغبين في التوجه إلى الجنوب بدلاً من هنا؟»

أجاب مايسون: «روزي راغبة في التوجه إلى الغرب. فهي ذاهبة إلى ويسكونسن».

صححت له روز: «اسمي روز. تعطلت سيارتي على الطريق، فتوقف مايسون وأقلني إلى هنا. سأبقى في تشينس هاربور حتى أجمع ما يكفي من المال لشراء سيارة مستعملة أخرى. بعدئذٍ سأتابع سفري».

نقلت مارني نظراتها إلى مايسون قائلة: «اعتقدت أنك انتهيت من القيام بدور البطل المنقذ، أخي!»

- كفى، مارني!

ابتسمت شقيقته له بمحبة.

- لا يمكنك أن تغير نفسك. حتى السياسة لا تستطيع أن تغيرك. لهذا السبب يريدك الجميع أن تعمل للوصول إلى منصب الحاكم، فهم متعبون من الحملات الانتخابية المليئة بالوعود، ويريدون شخصاً يمكنهم الوثوق بأنه سيفعل ما يراه صحيحاً فقط.

قال مايسون: «روزي لا يعنيها مطلقاً تحليلك المثير للشفقة. لِمَ لا تقومين بعمل مفيد كإعداد إبريق من القهوة؟»

مدت له شقيقته لسانها، لكنها استدارت حول الطاولة الكبيرة وذهبت لتفعل ما يريده، وفيما هي تضع البن في الإبريق سألت: «أخبريني! أين تمكثين؟»

بدت روز أشد قلقاً الآن وهي تجيب: «ليس هناك مكان معين أهتم للبقاء فيه طويلاً».

علقت مارني: «دعيني أحزر، المنزل القديم بجوار متجر الحبوب،

أم فندق ياتيز؟ هذا الأخير أكثر راحة وأناقة».

لم تقل روز شيئاً. لكن مايسون قال بصوت هادئ: «أتعلمين؟ تذكرت ليلة البارحة أنه كان عليّ أن أعطيك سلفة على معاشك».

لم تقل روزي أية كلمة بل حدقت إليه بدهشة، فتابع: «من أجل مصروفك الشخصي».

قالت بعناد: «أنا بألف خير. سأنتظر حتى يوم الدفع».

أدرك مايسون أن كبرياءها هو من يتكلم الآن. إنها ترتدي سروالاً قديماً بالياً وسترة رقيقة، ومع ذلك هي تملك الكثير من الكبرياء.

- مع ذلك سأشعر بالارتياح أكثر إن علمت أن لديك مالاً إضافياً.

اتخذ قراره، فتابع قائلاً: «هيا! ادخلي إلى مكتبي».

فعلت ما طلبه منها، لكنها شعرت كأنه يقودها نحو المشنقة. عندما فتح مايسون الباب فهم السبب لأنه لاحظ حقيبتها على الفور. كان عليه أن يقفز فوقها ليتمكن من الوصول إلى مكتبه، لكنه تظاهر أنه لا يراها، فهو بحاجة إلى المزيد من التفكير.

وجود الحقيبة دليل واضح جداً، فهي نامت في المقهى بعد الاقفال. كيف له أن يعلم السبب؟ أتراها لصة محترفة؟ أبعد الفكرة من رأسه على الفور، فهي تبدو نحيلة جداً وبائسة. مع ذلك شعر بالضيق لأنه لا يعرف إلا القليل عن المرأة التي تدعى روزاليند بانيت... المرأة التي وجدها على الطريق العام وحيدة، ما تزال حتى الآن وحيدة في هذه المنطقة الريفية. فكر أن المرأة الوحيدة قد تتعرض للكثير من المتاعب. البطل المنقذ! هذا ما وصفته به مارني، لكنه صرف هذا اللقب من ذهنه، فهو لا يريده بعد الآن لأنه لم يجلب له إلا الحزن. قد تكون المرأة سيئة الأخلاق أو لصة محترفة...

وضع كل ما قبضه البارحة في الدرج الأعلى من مكتبه. أتراها علمت بذلك؟ لكن مكتبه يبدو كما تركه تماماً، ومن الواضح أن أحداً

لم يلمسه. أتراها كانت تحاول الوصول إليه في اللحظة التي دخل فيها مع مارني إلى المقهى؟

كانت مارني لتمطرها بالعديد من الأسئلة بعد أن تضربها بقوة بين عينيها. تلك هي شقيقته. عاطفية وعصبية جداً، أما هو فيفضل أن يكون من النوع المتأني. سينتظر مثل هرة تراقب الفأرة حتى يعلم - بدون أي شكوك - ما هي لعبة هذه المرأة الشابة. لن يصدر أي حكم عليها. هذا ما قاله لنفسه. إنه يتصرف بطريقة عملية، فهو بحاجة إلى نادلة وحتى الآن برهنت أنها نادلة جيدة. عند أول بادرة متاعب، سيعمل على فصلها من دون أن يؤنبه ضميره.

عندما استدار مبتعداً عن مكتبه وهو يحمل الشيك بيده رآها تضع حقيبتها برباطة جأش فوق كتفها. لم تكن الحقيبة كبيرة، لكنها تثقل جسمها النحيل، ما جعلها تنحني قليلاً بسبب وزنها الثقيل. بالرغم من ذلك، لم يعلق على الأمر.

قالت روز بهدوء: «لا حاجة لذلك حقاً».

دفع مايسون الشيك إلى يدها قائلاً: «بل لا بد من ذلك».

أكد لنفسه أنه لا يتصرف كالأبله، بل إن تصرفه هو تصرف إنساني محض. كما أن المبلغ الذي أعطاها إياه لن يفلسه إن رحلت قبل أن تعمل لتستحقه.

لم تنظر روز إلى عينيه وهي تتمتم شاكرة. هل يعني ذلك أنها تشعر بالذنب أم يؤكد مدى إحراجها؟

- هناك مصرف بجانب المخبز في البلدة. سيدفعونه لك من دون أن يكون لك حساب لديهم. اليوم السبت، لكن العمل يستمر هناك حتى الظهر.

أومأت روز برأسها، وأخذت أصابعها تعبث بأزرار سترتها البالية. لا بد أن هذا المعطف كان جميلاً، تماماً ككل الثياب التي ترتديها.

- آه! نسيت أن أعطيك هذه ليلة البارحة.

سحب صندوقاً كبيراً عن الرف الأخير، وفتحه. بعد أن بعثر ما في داخله لعدة ثوان، أخرج منه قميصين زرقاوين من القطن الناعم.

- أعتقد أن مقاس الوسط يناسبك. أنت نحيلة لكن ذراعيك طويلتان.

إن كانت الثياب في الحقيبة قديمة وبالية كالثياب التي ترتديها، فهي بحاجة إلى ثياب جديدة.

رفع مايسون إحدى القميصين، فرأت روز أن اسم المقهى مطبوع على جيبها الأمامي. وقفت تحدق بالقميصين اللذين يحملهما من دون أن تتحرك فرماهما إليها.

- إنهما زي الحانة الدائم.

وجدت روز نفسها مشدوهة جداً لدرجة أنها لم تستطع إلا أن تمد يدها لتلتقط القميصين اللتين رماهما باتجاهها. هذا الرجل مجنون... لا بد أنه كذلك. أو ربما هو أعمى، لأن الأعمى فقط قد لا يرى حقيبتها الصوفية التي كانت في وسط الغرفة والتي بدت واضحة كالفيل عندما دخلا إلى الغرفة الصغيرة. الحقيبة تعلن عن ذنبها بوضوح جلي لا يقبل الجدل. يمكنه اتهامها بدخول المكان عنوة، ومع ذلك استقبلها بهدوء، وكتب لها شيكاً مصرفياً، والآن ها هو يقدم لها ثياباً.

إنها لا تثق به، ولا تثق بأي شخص آخر. مع ذلك يبدو أنه يثق بها. اعتادت روز منذ زمن طويل على الشك بالآخرين، فلطالما تم طردها إلى الخارج بسبب مظهرها فقط، ومع ذلك هذا الرجل يقدم لها المال لقاء عمل لم تقم به، ويتصرف كأنه يؤمن بأنها ستعود لتعمل مقابل ذلك المال. المضحك في الأمر هو أنها لم تفكر بالهرب حتى الآن.

- ستعملين بجد لدرجة الارهاق.

قالت مارني وهي تدخل من الباب حاملة كوبين: «آمل أنك تحبين القهوة بدون حليب أو سكر».

قدمت كوباً لروز وأبقت الثاني في يدها وهي تتابع: «بإمكانك أن تحضر كوبك بنفسك، أخي العزيز».

رشفت قهوتها وهي غافلة عن التوتر السائد في الغرفة.

- لم تقولي لي أين تمكثين، روزي.

أجابت روز بلا تركيز: «اسمي روز، وأمكث في...».

توقفت عن الكلام لتحدق بالشيك والقميصين اللتين وضعتهما داخل انحناءة مرفقها. ثم التقت نظرتها بنظرة مايسون، حدقت بهاتين العينين السوداوين اللتين بدتا كأنهما تنظران إلى أعماق روحها.

- في الحقيقة... نمت هنا الليلة الماضية. تسلقت الجدار ودخلت عبر نافذة غرفة الحمام بعد أن غادرت أنت وبارغن. نمت على الأرض. شكراً لك لأنك قدمت لي عملاً ليلة البارحة. جنيت ما يكفي من المال لأصل إلى البلدة التالية.

أعادت له الشيك والقميصين وأخيراً كوب القهوة الشهي. رفعت حقيبتها قليلاً على كتفها، ثم استدارت لتغادر.

فتح مايسون فمه ليناديها، لكنه سرعان ما أدرك أنه ما من داع لمنعها من الرحيل، فقد فعلت ذلك من تلقاء نفسها. خطت روز ثلاث خطوات باتجاه الباب، ثم سقطت على الأرض مغشياً عليها.

عادت روز إلى وعيها ببطء. وتضاعف إحساسها بالخجل والحيرة على الرغم من ضعفها الشديد عندما أدركت أنها مستلقية على أرض حانة المنارة. رأت صاحب الحانة يرفع رأسها بيديه والاهتمام واضح على وجهه الوسيم.

تنهدت، ثم أغمضت عينيها قبل أن تقول: «يا إلهي! حتى إنني لا أستطيع المغادرة بشكل صحيح».

- متى كانت المرة الأخيرة التي تناولت فيها طعاماً؟

فكرت بقطعة الزبدة وقطعتي الخبز الموضوعة داخل قميصها. صحيح أنها بالقرب من معدتها الخاوية مع ذلك فهي بعيدة المنال.

- تناولت شيئاً ما البارحة.

سألها باهتمام: «غير الفستق؟»

لم تجب روز. بدا لها من المؤسف والمخجل أن تذكر لوح الشوكولا. قالت مارني، وهي تنظر إلى روزي: «أتعلمين، عزيزتي! الحمقاء التي أرادت أن تكون ثرية جداً ونحيلة جداً ماتت من الجوع بسبب وزن خواتمها الماسية التي منعتها من الوصول إلى طاولة الطعام».

- مارني! افعلي شيئاً ذا فائدة، واحضري لروزي شيئاً لتأكله. هلاّ فعلتِ؟

- اسمي روز!

تنهدت روز، فلا أحد هنا يرغب في سماعها.

تمتمت شقيقة مايسون: «مارني افعلي هذا... مارني افعلي ذلك، ولا أسمع كلمة شكراً أو من فضلك ولو مرة واحدة».

لكن على الرغم من تذمرها، غادرت لتفعل ما طلبه منها شقيقها.

سألته روز ما إن أصبحا بمفردهما: «هل ستتصل بالشرطة؟»

- لا أظن أن فقدان الوعي يستحق دعوى جزائية.

- الخلع واقتحام الأمكنة يستحقان ذلك.

اعترف مايسون بجريمتها بهزة من رأسه، ثم فاجأها وهو يقول: «لكن لم يكن ذلك قصدك. أليس كذلك؟ كل ما في الأمر أنك أردت مكاناً تنامين فيه. كنت لأعطيك المفتاح أو ربما أقرضك مالاً لتستأجري غرفة في الفندق».

تساءلت روز لماذا؟ ولا بد أن ارتباكها بدا واضحاً على وجهها،

لأنه قال: «هذه بلدة الفرص، وهي بلدة صغيرة. نحن نساعد الناس هنا إن كانوا بحاجة إلى المساعدة، روزي».

لم تصحح له اسمها هذه المرة، فمن الواضح أنه يراها امرأة أخرى مختلفة عما هي عليه. قررت روز أن هذا ليس بالأمر السيء. جلست على مهل لتتخلص من الدوار الذي تشعر به وهي تخشى أن تفقد الوعي من جديد. ساعدها مايسون لتقف واضعاً ذراعه حول كتفيها.

- آسفة، مايسون!

وبما أن الصراحة هي عنوان هذا النهار، مدّت يدها إلى داخل قميصها، وأخرجت قطعتي الخبز وقطعة الزبدة التي أوشكت أن تسيل. قدمتها له وهي تتابع: «أخذت هذه، وقررت أن أدفع ثمنها. صدقني!»

بدت نبرة صوته قاسية وهو يقول: «فقط تناوليها، روزي!»

تناولت روز الطعام كما يفعل الرجال. لم يرَ مايسون امرأة تأكل هذا القدر من الطعام في وجبة واحدة. فبعد أن تناولت اللحم المقدد والخبز اللذين أضافت إليهما مارني الخردل والخس، أتبعتهما روزي بطبق عجة من البيض المخفوق مع الخضار وثلاث قطع كبيرة من اللحم المقلي وكوب من عصير الليمون وثلاثة فناجين من القهوة. ومع أنها لم تقل كلمة واحدة أثناء تناولها الطعام، لكن حركة يديها وهي تمسك بالشوكة تكلمت بفصاحة عن ماضيها.

على الرغم من كل القرارات التي اتخذها بألا يتورط بالاهتمام بها، وجد مايسون نفسه راغباً في معرفة المزيد عنها. قال لنفسه مطمئناً إن فضوله هو مجرد فضول رب عمل يريد أن يعرف المزيد عن العاملة لديه. عندما انتهت من تناول فنجان القهوة الثالث، سألها: «أترغبين في تعبئة تلك الفراغات في طلب العمل الآن؟»

مسحت روز فمها بعناية بمنديل ورقي. تصورت أنها تدين له بالتصرف ببعض اللطف على الأقل لأنه لم يتصل بالشرطة.

- أي مكان فارغ تريد أن تملأه أولاً؟

لم يتردد بالسؤال: «هل روزاليند بانيت هو اسمك الحقيقي؟

- لا.

رفع حاجبيه مستغرباً، لكنه لم يضف شيئاً، بل انتظر أن تتابع. أعجبت روز بتصرفه هذا وبمقدار صبره وهدوئه. معظم الناس يتنمرون عليها ويضايقونها بشكل متواصل: «لا أعرف اسمي الحقيقي».

عاودها ذلك الاحساس القديم بالعار مع تلك الكلمات التي قالتها بصوت هادئ. تساءلت إن كانت ستتمكن يوماً من التغلب على هذا الاحساس على الرغم من أنها تقول لنفسها باستمرار إن الأمر غير هام.

سألتها مارني: «أبسبب فقدان الذاكرة؟»

وضعت شقيقة مايسون مرفقها على الطاولة مسندة ذقنها بيدها، وقد بدت مذهولة من شدة التأثر.

ضحكت روز بصوت عال. إنها تحب هذه المرأة، لكن يبدو أنها تشاهد الكثير من المسلسلات التلفزيونية.

- بل لأن أهلي تخلوا عني وأنا صغيرة جداً.

اتسعت عينا مارني وقالت: «آه... يا إلهي!»

ردة فعل مايسون لم تبدُ بمثل تلك القوة، لكن ملامحه أصبحت أكثر رقة.

- من أعطاك اسمك إذاً؟

- هيئة المقاطعة، كما أعطتني شهادة ميلادي.

رفع حاجبيه بارتباك، وعلق: «هل لك أن تشرحي لي الأمر، فقد ضعت تماماً».

- حسناً! أحدهم أضاعني في أول يوم من شهر شباط منذ ثلاثة وعشرين عاماً. وجدتني الشرطة أتجول وأنا بالكاد قادرة على المشي

في تقاطع شارع روزاليند وبانيت أفينو في ديترويت. روزاليند بانيت، هل فهمتها؟

سمعته يتمتم: «آه! روزي».

رفعت كتفيها وهي تشعر بالانزعاج من الشفقة التي رأتها في عينيه. علقت باستهزاء: «إنه ليس اسماً سيئاً».

أرادت مارني أن تعرف ما الذي حدث لها بعد ذلك فسألتها، لكن روز رفعت شوكتها وأخذت تتلهى بها وهي تحرك ما تبقى من فطورها.

أجابت بعد قليل: «عشت في دار للأيتام».

إنها كلمات قليلة، لكنها بالنسبة إلى روز تفسر كل شيء.

سألها مايسون بلطف: «ماذا عن التبني؟»

آه، صحيح! العيش بسعادة إلى الأبد. إنها فكرة تخلت عنها منذ زمن بعد أن فهمت حقيقة هذه الحياة.

- كدت أصبح ابنة لعائلة ذات مرة. إنها أول عائلة عشت معها. بقيت هناك حتى أصبحت في السادسة من عمري. كانا رائعين... زوجان متقدمان في العمر، ولدى الرجل لحية بيضاء. كان يذكرني بسانتا كلوز. كانا يقومان برعاية الأطفال لسنوات، وقد تبنيا عشرات الأطفال غيري. بعضهم مازال يعيش معهما.

- وما الذي حدث؟

تغير شيء ما في تعابيرها، ورأى مايسون التغير على الفور. رأى كيف انغلقت على نفسها كي لا تشعر بأي ضعف أو إهانة. قالت ببساطة: «لم تنجح عملية التبني».

لكن لم يكن أي شيء بسيط في ذلك الوقت، فقد تحطم قلبها.

لماذا؟ لمع السؤال في ذهنه، لكن مايسون تمكن من لجم نفسه عن التفوه به. أرسل نظرة محذرة لمارني من فوق رأس روزي خشية أن يسيطر عليها فضولها ولا تستطيع كبح نفسها.

لكن مارني سألت بشكل عام: «ماذا حدث بعد ذلك؟»

انشغلت روز بالعبث بمنديلها الورقي، قطعته إلى عشرات القطع الصغيرة. على الرغم من التوتر الواضح، أكملت حديثها بنبرة صوت هادئة وكأنها تتحدث عن الطقس لا عن حياتها بأكملها، لكن كلماتها والخيالات التي خلقتها أثرت بمايسون حتى عظامه.

- لنرَ! أجبرت على الذهاب إلى خمس عائلات بعد ذلك. هربت من ثلاث منها، وأمضيت ستة أشهر في إصلاحية للأحداث بسبب سوء تفاهم صغير.

سأل مايسون برقة: «ألم يكن هناك مكان تلجأين إليه للمساعدة؟»

نبرة صوته وليس الكلمات بحد ذاتها ما دفعت عيناها للوخز بشدة. لزمتها عدة لحظات لتستعيد رباطة جأشها. في النهاية، رأت أن تجاهل سؤاله أفضل حل لها.

- يوم بلغت الثامنة عشرة من عمري تم إبلاغي أن مركز الرعاية لم يعد ملزماً بالاهتمام بي، فحزمت كل ما لدي وغادرت مركز الرعاية السادس.

سألت مارني: «هل بحثتِ عن والديك؟»

- لا، فهما لا يريدانني.

- كيف يمكنك أن تتأكدي مما تقولينه؟ لِمَ لم تحاولي لقاءهما ومواجهتهما؟ لا بد أن لديك أسئلة عليهما الإجابة عنها.

آه! لديها مئات الأسئلة التي تتعلق بحياتها وقد خزّنتها بأمان، لكن ليست الأسئلة هي ما يقلقها بل معرفتها أنها قد لا ترضى عن الأجوبة... بل ربما تزيد تلك الأجوبة من حزنها.

- توقفي عن طرح الأسئلة عليها، مارني. ستسببين لها عسر هضم.

قال مايسون ذلك فيما وجه ابتسامة إلى روز.

راقبت هذه الأخيرة ابتسامته الجميلة. إنه وسيم حقاً كما أن عينيه

بلون الفحم وهما تبدوان كأنهما تحدقان في روحها.

فكرت روز أنه يرى الكثير، وهذه ليست المرة الأولى التي تدرك فيها ذلك: «حسناً! شكراً على الفطور».

أبعدت طبقها، ونهضت. ماذا يجب أن تفعل الآن؟ يبدو أن عليها المغادرة. تفاجأت لأنها تشعر برغبة في البقاء. سحبت الشيك من جيب سروالها، وكان مايسون قد أصر على إعادته إليها للمرة الثانية بعد أن استعادت وعيها. رتبت الطيات بعناية ووضعته قرب كوب العصير الفارغ. انخفضت نبرة صوتها إلى همس محرج وهي تقول: «أقدر فعلاً كل ما فعلتماه من أجلي».

أجاب: «على الرحب والسعة. سأوصلك إلى المصرف، وهكذا ستقبضين المال وسنجد لك مكاناً تمكثين فيه. عليك أن تحظي بفرصة لترتاحي قليلاً قبل بدء عملك الليلة».

- هل تريدني أن أبقى؟

تجاهل سؤالها، وهذا ما فعلته مارني إذ قالت: «سيأخذ الفندق ستين دولاراً مقابل قضاء الليلة الواحدة».

كررت روز فيما بدا صوتها كالصراخ: «ستون دولاراً على الليلة؟ لا أستطيع أن أدفع أربعمئة دولار في الأسبوع إيجاراً للغرفة».

شعرت بالغثيان، ولم تدرِ إن كان السبب الوجبة الكبيرة التي تناولتها أم فكرة إنفاق كل ما ستقبضه على تأمين مسكن لها في حين أنها بحاجة إلى ادخار المال من أجل شراء سيارة.

- سأتحدث مع كلارا، وأحاول إقناعها بإيجاد خيار مناسب لكما.

افترضت روز أن كلارا تلك هي صاحبة الفندق. هزت مارني رأسها وعلقت: «إنه فصل الثلوج، مايس. لن ترضى كلارا بالتنازل عن أي فلس، لا سيما أنها تحاول التعويض عن الأشهر الماضية التي لم تجنِ خلالها شيئاً».

نظرت نحو روز وتابعت: «انهمرت الأمطار بشدة في فصل الخريف وتعرت الأشجار بسرعة قصوى. فلم يأتِ أي زائر إلى البلدة».

بعد مرور عدة دقائق من التفكير، أعلنت مارني بفرح: «وجدتها! ماذا بشأن الشقة قرب منزلك؟»

البريق الذي ظهر في عيني مارني أثار قلق روز، ولابد أن مايسون شعر بالتوتر أيضاً. لأول مرة منذ أن تعرفت عليه، رأته يبحث عن الكلمات المناسبة.

- إنها... إنها ليست بشقة في الواقع.

- آه! هيا، مايس! إنها رائعة.

تابعت محدثة روز: «مجرد شقة صغيرة تتكون من غرفة واسعة وحمام، لكنها مريحة وجميلة».

أكدت روز: «لا أستطيع أن أدفع أكثر من ذلك».

لكن ربما كانت تقول ذلك لنفسها وليس لهما.

- عشت هناك فترة قصيرة قبل أن أتزوج في الصيف الماضي. كنت لأرغب لو تمكثين معنا، لكننا نهدم بعض الغرف في المنزل ونعيد بناءها. وفي الواقع نصف المنزل مهدم فعلياً.

لم تعلم روز أيهما أسوأ، مشاركة منزل مع شخصين تزوجا منذ فترة قصيرة أم السكن على مرمى حجر من رئيسها الوسيم؟

قالت مارني: «يمكنها أن تأتي إلى العمل سيراً على قدميها».

تلك الجملةالعملية الهادئة جعلت مايسون يتلعثم من جديد وهو يقول: «إنها بحاجة إلى الكثير من العمل».

لوحت مارني بيدها وهي تقول: «تحتاج فقط إلى طلي الجدران ووضع ستائر جديدة على النافذة، عندها ستبدو الشقة وكأنها جديدة».

نهض مايسون عن كرسيه، ثم أمسك بمعطفه قبل أن يقول: «حسناً! حضري ذراعيك وابدأي بالعمل. أنا سأرافق روزي إلى المصرف».

٣ ــ حلم ينكسر

يعيش مايسون سترايكر في منارة تربض على صخرة عالية تشرف على الشاطئ، وهي منارة فعلية ما زالت تعمل وترسل إشعاعاتها اللاسلكية فوق أكبر البحيرات الكبرى. وهي بالطبع على بعد مسافة قصيرة من المقهى الذي يحمل اسمها.

سألت روز: «لم أكن أعلم أن بإمكان المرء أن يملك منارة. متى بُنيت هذه؟»

- إنها مكان أثري. الطباعة على الحجر الأساسي تشير إلى سنة ١٨٥٢. جدي الأكبر هو ثالث راعٍ للمنارة. يومها كانت تعمل بطريقة يدوية، أما هذه الأيام فالتكنولوجيا تقوم بكل المهمات. ترسل الدولة بشكل منتظم مراقبين للتأكد من أن المصابيح تعمل بشكل دائم. الأمر المزعج هو شعورك كأنك تعيشين في منزل شخص آخر، لكن المكان يوفر الوحدة والمناظر الرائعة الخلابة.

يقول مايسون إنها مكان أثري، إلا أن الحجارة التي بنيت منها المنارة والأخشاب البيضاء التي تحيط بها، تجعلها تبدو كأنها خارج حدود الزمن.

المرآب المجاور لها يبدو أكثر حداثة بشكل واضح جداً، لكنه لا يقل عنها جمالاً. ما إن اتجهت الشاحنة نحو المرآب، حتى لاحظت روز الممر المرصوف بالحجارة والذي يصل المنارة بالمرآب. تمت إزالة الثلوج بعناية، فتجمعت في كومات على جانب الممر. أوقف مايسون السيارة وخرج منها. سارت روز وراءه عبر الدرج الضيق

المغطى بالثلج والذي يقع إلى جانب المبنى، وتفاجأت عندما لم يبحث عن المفاتيح، بل أدار المقبض ببساطة. لم يكن الباب مقفلاً، وفتح على الفور مصدراً أصواتاً. أشار لها بيده لتسير أمامه وتدخل إلى المنزل.

لم تكن مارني تمزح عندما قالت إنها شقة صغيرة، فهي فعلاً صغيرة. إنها مليئة بالغبار والمفروشات المهملة التي تعود على الأرجح إلى عدة أجيال سابقة. ومارني أيضاً على حق، فهي شقة رائعة.

قال مايسون وقد قطب جبينه: «إنها ليست في حالة مقبولة».

حافظت روز على تعابير وجهها هادئة وعادية. بالكاد رفعت كتفيها ووضعت حقيبتها على الأرض داخل فسحة الباب.

- عشت في أماكن أسوأ من هذه.

حتى لو لم تكن هناك ذرة من الغبار تحت النظر، بإمكان المنزل أن يكون في منتهى البشاعة. هذا ما تعرفه روز جيداً.

- الإنارة مؤمنة، وعليّ أن أعمل على إيصال الماء إلى المكان. غرفة الحمام هناك.

أشار بيده نحو أحد البابين الموجودين في الغرفة، وافترضت روز أن الباب الثاني للخزانة.

تابع قائلاً: «أنصحك أن تتركي المياه تنساب لفترة قبل الاستحمام أو حتى قبل الشرب منها، فلدينا الكثير من ذرات الحديد هنا».

- عليك أن تعملي على تقديم طلب لتزويدك بهاتف.

- لا داعي لذلك. لست بحاجة إلى الاتصال بأحد.

- آه! حسناً.

سار نحو جهاز تشغيل الحرارة. رفع المفتاح المخصص لتشغيل الجهاز، وسرعان ما سمعت روز صوت الفرن في داخله يعمل. تابع

قائلاً: «ما دامت مارني لم تأتِ بعد، سأساعدك في تنظيف المكان».

- لا داعي لذلك.

كان عليها أن تعلم أنه لن يصغي إليها.

- لدي بعض مواد التنظيف في المنزل. سأعود بعد دقائق.

عندما أغلق الباب وراءه، سمحت روز للابتسامة أن تظهر على وجهها، ثم ضحكت بصوت عالٍ وهي تشعر بسعادة لا تذكر أنها عاشتها منذ وقت طويل جداً. بالطبع! هي لن تبقى فترة طويلة هنا، بل سترحل ما إن تجمع ما يكفي من المال لشراء وسيلة نقل صدئة أخرى. توجهت نحو النافذة، ولم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير أن للرجل الذي يدخل عبر باب المنارة علاقة بشعورها هذا...

* * *

ما إن دخلت روز مقهى المنارة من الباب الخلفي عند بدء عملها ذلك المساء، حتى وجدت بارغن في المطبخ. كانت ترتدي واحدة من القميصين اللتين قدمهما لها مايسون وسروال جينز قديم لكنه نظيف. أما هي فبدت نظيفة أيضاً كشقتها الجديدة بعد أن استمتعت بالاستحمام لفترة طويلة بالمياه الحارة قبل قدومها إلى العمل.

زفر الرجل متمتماً بما يمكن اعتباره «مرحباً» عندما أطلت برأسها إلى داخل المطبخ.

- قال مايسون إنني أستطيع أن أجد مئزراً نظيفاً هنا.

قالت ذلك وهي ترمق بحذر السكين الكبير الذي يستعمله الرجل لتقطيع البصل. شعرت بقليل من الرضى عندما لاحظت أن عينيه تدمعان.

- المآزر النظيفة معلقة على المشجب هناك.

وأشار بالسكين باتجاه آخر الجدار. لم تستطع روز إلا أن تمازحه قائلة: «إنها دموع الفرح. أليس كذلك؟ من كان ليظن أنك ستبدو بمثل

هذه السعادة لرؤيتي».

معدة مليئة، أجر جيد لعملها، سقف فوق رأسها. لا بد أن هذه الأمور مجتمعة جعلتها مرحة، غير أن بارغن لم يشاركها حماسها.

أقسمت روز أنه يشير بسكينه ذي النصل الحاد إلى قلبها عندما قال: «لا تهتمي لمنظري الدامع يا فتاة، فأنا أراقبك جيداً».

في الواقع هو لم يقل كلمة لم تسمعها من قبل. أحياناً يمكنها الاعتراف أنها تستحق مثل تلك الكلمات، فقد أقدمت على الخداع، وقامت بما يمليه عليها الوضع الراهن من التملق والمداهنة. إنها ليست كاذبة أو مخادعة بطبيعتها، لكن من الصعب أن تعيش بمستوى عالٍ من الأخلاق وأنت فارغ المعدة وقدماك مجمدتان من البرد. لهذا كذبت روز في بعض الأحيان، وسرقت في أحيان أخرى، لكنها فعلت ذلك بسبب الحاجة لا بسبب الجشع. لكنها شكت أن يوافقها بارغن الرأي، كما أنها شكت أن يصدّقها إن قالت له إنها لن تخدع مايسون أو مارني مطلقاً، فهما لطيفان جداً معها ولا يستحقان منها إلا الصدق والعمل الجدي.

رفع الرجل حاجبه فيما بدا عليه الضيق، وعلق: «الوقت يمر».

خطفت روز مئزراً، وغادرت المطبخ بدون أن تضيف كلمة أخرى. عند الساعة التاسعة غص المقهى بالزبائن الذين اصطفوا أمام الطاولة الكبيرة، بعد أن امتلأت الطاولات الموزعة في أرجاء الغرفة. كادت روز تقسم إن كل سكان ميتشيغن أتوا إلى هنا لتناول طبق السمك ورقائق البطاطا الذي يعده بارغن، فقد قدمته للزبائن عشرات المرات.

بدت مارني التي تعمل مكان النادلة التي لا تزال مريضة بالانفلونزا منهكة مثلها تماماً، أما مايسون الذي كان يعمل خلف الطاولة الكبيرة بمهارة ورشاقة واضحتين، فمن الصعب أن يبدو مرهقاً. احتاجت للنظر إليه للحظات كي تتمكن من تقدير طريقة عمله.

استدارت من وراء الطاولة وملأت يدها بحبات الفستق قبل أن

تصل إليه. ثم قالت له: «أريد كوباً من عصير التفاح مع النعناع».

بدأت بتناول الفستق وهي تتكئ على الطاولة. روز معتادة على العمل الشاق، لكن قدميها تتوسلانها للحصول على بعض الراحة. حاولت ألاّ تفكر أنه ما زالت أمامها أربع ساعات من العمل قبل أن تنهي دوامها.

- من طلب ذلك؟

- المرأة الوحيدة التي ترتدي بذلة في المقهى.

جال بنظره في الغرفة المليئة بالناس حتى رآها.

سألته روز: «أهي المحاسبة لديك أم أن لديها عملاً آخر هنا؟»

تمتم مايسون: «إنها رئيسة الحزب الديمقراطي في المنطقة. أراهن أن مارني تعرف سبب قدومها إلى هنا».

لم تحظَ روز بفرصة لتسأله ما الذي تفعله المرأة هنا أو لماذا دعتها مارني، إذ أصبح أي نقاش أمراً مستحيلاً بسبب الصوت المرتفع لأغنية ريفية دوت في المقهى.

عندما انتهت الأغنية وخفت الصوت قليلاً، تذمر مايسون قائلاً: «لا يمكن أن تمضي أمسية يوم السبت من دون أن يسيطر الأخوان باتل على صندوق الأغاني. أتمنى أن تكوني من محبي أغاني الريف القوية، لأنك إن لم تكوني كذلك فستصابين بألم حاد في أذنيك».

راقبته روز يقطب جبينه، فشعرت بالشفقة عليه. ثلاث ساعات مدة طويلة لمن يعشق أغاني الهارد روك.

لمعت فكرة برأسها، فقالت: «لدي فترة استراحة قصيرة من العمل. أليس كذلك؟»

- استراحة قصيرة؟

- خمس عشرة دقيقة. هذا كل ما أحتاجه.

قالت ذلك وهي تنزع مئزرها عن جسمها. رفع مايسون نظره عن

الصينية التي تحملها، وسألها: «لماذا؟»

- لأجعلك سعيداً بشكل لا يصدق.

غمزته وهي تقول ذلك، فشعر مايسون أن فمه أصبح جافاً. ردّد كالمعتوه: «خمس عشرة دقيقة؟»

إنه بحاجة لأكثر من خمس عشرة دقيقة. هذا ما فكر به وهو يراقبها تتسلل بين الحشد. ضاعت من أمام ناظريه عدة مرات، ثم رآها قرب طاولة البليارد تبتسم ببراءة لبراد وبرايس باتل، وهما رجلان ضخمان يعملان في صيانة طرق المنطقة.

تاق مايسون بشدة إلى سماع ما تقوله لذينك الرجلين اللذين بدوا فجأة كطفلين صغيرين وهما يضحكان لها ببلاهة. قبل أن يضطر مايسون إلى الانتظار أكثر من ذلك رفعت روز على الفور عصا البليارد.

سيطر عليه الفضول، فابتعد عن الطاولة الكبيرة وسار مباشرة إلى حيث تقف. رآها تضع بلا اكتراث طبشوراً أزرق على طرف العصا.

سألها: «ما الذي تفعلينه، روز؟»

- لدي فترة استراحة. ألا تستطيع الفتاة الحصول على بعض المرح أثناء ذلك، سيدي؟

قسمت ابتسامتها بين الرجلين وبينه، ما جعل معدة مايسون تضطرب.

همهم برايس: «هيا، مايس! إنها تلهو في وقت استراحتها».

عدّت روز عشرين دولاراً من المال الذي قبضته كإكرامية، ووضعتها على حافة الطاولة. سألها مايسون بنبرة تدل على عدم التصديق: «هل ستلعبين لقاء المال؟»

تنحى بها جانباً، وتابع: «يمكنك أن تودعي ذلك المبلغ من المال. فهو ماهر جداً... كلاهما ماهران».

لم تتبدل ملامح وجهها للحظة، لكن مايسون شعر كأنها تبتسم

عندما أجابته: «أنا أفضل منهما».

علق برايس: «يمكنك أن تتراجعي».

- شكراً لك.

قالت ذلك بلطف، ثم غمزت مايسون. اختارت ثلاث طابات، اثنتين مخططتين وواحدة بيضاء. سارت حول الطاولة بمشيتها البطيئة المخادعة، ما ذكر مايسون بالهرة وهي تتلاعب بضحيتها.

قالت: «لنبدأ بالكرة البيضاء».

لم يفهم مايسون سبب خيارها هذا.

سألها عندما سارت إلى حيث يقف على إحدى زوايا طاولة البليارد: «لماذا اخترت الكرة البيضاء؟»

تأملت روز جيداً حركتها التالية، وراقب مايسون بدهشة كيف تحولت من نادلة بريئة في مقهى إلى سمكة قرش كبيرة.

وضعت قليلاً من الطبشور على طرف عصاها، وقالت: «عليّ القيام بشيء ما لأجعل اللعبة مثيرة ومليئة بالتحدي».

لم تكن بحاجة إلى التفكير بالخطوة التالية. سارت حول الطاولة بزهو وتبجح، واختارت الطابة التي ستوجه العصا إليها، وأصابتها على الفور. فكر مايسون أن ثقتها بنفسها هي في مكانها فعلاً، فهي ماهرة بالفعل في ما تفعله. لم تخطئ روز ولو مرة واحدة بينما راحت الطابات تختفي عبر الثقوب. فتح مايسون فمه باستغراب ما إن أمسكت روزي بأرفع عصا للبليارد، وهي عصا لم يشاهدها أبداً في المقهى من قبل.

أخيراً، لم يبقَ على الطاولة إلا الطابة التي تحمل الرقم ثمانية. قالت بصوت عالٍ إنها سترميها عبر الزاوية حيث يقف مايسون. حتى في حركتها تلك، جعلت رميتها تبدو أكثر صعوبة مما يحتاج الأمر في الواقع. مالت فوق الطاولة ومدت العصا لتصل إلى الطابة، لكن وللمرة

الأولى، ترددت. رفعت رموش عينيها بنعومة، ولم تبعد نظرتها عن مايسون وهي ترجع العصا إلى الوراء ثم تدفعها إلى الأمام بحركة رشيقة ماهرة. انزلقت الطابة نحو الهوة قبل أن تبعد نظرها عنه.

أدرك مايسون أنه كان يحبس أنفاسه طيلة ذلك الوقت.

استدارت روز حول الطاولة متجهة نحوه وهي تبتسم له. فكر أنها ليست فاتنة الجمال، فملامحها واضحة ومحددة أما شعرها الأشقر فأشعث قصير، لكن هناك شيئاً من السحر يحيط بها كالهالة.

- قلت لك إنني أفضل منهما.

رفعت المال عن الطاولة وأعادته إلى جيبها، ثم قالت للرجل: «سعدت باللعب معك، برايس».

قال مايسون ما إن استعاد قدرته على الكلام: «هاي! انتظري قليلاً».

وأشار إلى برايس متابعاً: «لم يدفع لك المال».

ابتسمت له من وراء كتفها، ثم أجابت: «سوف يفعل».

عاد مايسون إلى مكانه وراء الطاولة الكبيرة ليسكب الشراب لمجموعة من الرجال الذين يعملون على إزالة الثلوج عن الطرقات، وما لبث أن سمع صوت سبرنغستين الشجي يملأ أرجاء المقهى.

- ما الذي يجري...؟

التفت نحو صندوق الأغاني فرأى برايس باتل يضع المزيد من النقود المعدنية في الآلة والغضب باد على وجهه. بعيداً عن الطاولة الكبيرة لمح ابتسامة روزي الماكرة. إذاً، هذا هو الثمن المقابل للعبة!

مع مرور الساعات التالية، وفيما ظلت الأغاني تنساب من الموسيقى الصاخبة إلى الأغاني الرومنسية الناعمة، وجد مايسون نفسه أكثر تقديراً لموهبة روزي في لعب البلياردو.

حوالى الساعة الثانية لوح مايسون مودعاً آخر شخصين وهما يغادران المقهى. أقفل الباب، وأطفأ المصابيح المتلألئة في السقف

والتي تسطع أنوارها القوية على باحة الرقص وطاولة البلياردو.

هزت مارني رأسها بحيرة: «هل تفضل حقاً هذه الحياة على مواجهة أعيان البلدة ومرافقتهم؟»

حدق مايسون إليها بغضب، لكنه لم يقل شيئاً. تابعت مارني كلامها محدثة روز: «أتت رئيسة المنطقة لرؤيته الليلة، وما الذي قاله لها؟ إنه يفضل أن يسكب الشراب ويمسح الأرض على أن يكون مرشحاً في الانتخابات».

ما فهمته روز بوضوح هو أن مايسون لا يرغب في التحدث عن الأمر لهذا ستحترم رغبته تلك.

- الرأس ستنظفين الحمام، والوجه الآخر أنا سأفعل ذلك.

أخرجت قطعة معدنية من جيب مئزرها ورمت بها عالياً في الهواء. بعد أن التقطتها بخفة سحرية، قالت: «آسفة، مارني. يبدو أنك أنت من سينظف الحمام».

عندما غادرت مارني الغرفة ابتسم مايسون، من الواضح أنه لاحظ خدعتها بالعملة النقدية. قال: «شكراً! أشعر أنني مدين لك».

رفعت روز كتفيها، وبدأت بعدّ المال الذي قبضته. يبدو أنها ليلة جيدة جداً. بالطبع، كان بإمكانها أن تحظى بعشرين دولاراً إضافياً لو أنها لعبت مع برايس مقابل المال بدلاً من حق اختيار الأغاني.

فكر مايسون أنه يدين لها بهذا أيضاً.

- اسمعي! لِمَ لا تأخذين قسطاً من الراحة؟ أشعر أنني استعدت نشاطي خلال ثلاث ساعات من الموسيقى الرائعة والمميزة. سأكنس الأرض وأمسحها بعد أن أرفع الكراسي على الطاولات. لن أحتاج إلى الكثير من الوقت، وبعد ذلك سنمضي إلى منازلنا.

- أنت على حق. لن نحتاج إلى الكثير من الوقت، لأنني سأساعدك.

أعادت المال إلى جيبها، وحملت قطعة قماش مليئة بالصابون. إن كانت حقاً متعبة فإن ذلك لا يبدو عليها مطلقاً وهي تعمل بنشاط في تنظيف أسطح الطاولات.

بعد عدة دقائق ناداها مايسون: «هاي! وجدت قطعتين من النقود».

- لا بد أن الليلة ليلة حظك. بإمكانك الآن أن تسمع المزيد من الموسيقى الرومنسية.

توقفت روز عن مسح الطاولة واتكأت عليها قبل أن تتابع: «أعتقد أن الرجال يحبون تلك الأنغام فقط لأنها لا تحثهم على الرقص».

- أنا أحب الرقص.

نظرت إليه بإمعان وقالت: «آه، بالطبع! يمكنني أن أتخيلك تهتز وترقص كريكي مارتن».

- من فضلك... كل ما قلته هو إنني أحب الرقص.

قرر مايسون أن يمسح تلك النظرة الساخرة عن وجهها. وضع إحدى القطع النقدية في صندوق الموسيقى وضغط على الرقم ١٩، وعلى الفور امتلأت الغرفة الخافتة الأضواء بهمسات سيلينا. عندئذٍ سار نحو روز ومدّ يده لها. نظرت روز إليه بتوتر وقلق وهي تسأله: «ماذا؟»

أعطاه سؤالها الشجاعة الكافية، فلو أنها وقفت مكانها وظلت تلك النظرة الساخرة في عينيها، لما امتلك القدرة ليمد يديه ويضمها بين ذراعيه. ارتطم جسدها بجسده، فتراجعت خطوة إلى الوراء.

قالت متلعثمة: «مايسون! أنا لا...».

أكمل عنها: «لا ترقصين؟ إذاً دعيني أعلمك».

ضمها بين ذراعيه مستمتعاً بالاحساس بها حتى وهو يفكر أنها بحاجة إلى مزيد من الوزن لتبدو أكثر جمالاً ورشاقة.

- ليس هناك أية صعوبة في الأمر، فالرقص سهل جداً.

سهل؟ فكرت روزي وهي تدوس على أصابع قدمه وتضرب ركبتيه بركبتيها. شعرت كأنها قطعة من الجماد بدلاً من أن تشعر بالفرح والزهو، لكن مايسون أصر على المتابعة.

- ثلاث خطوات إلى الأمام وخطوة واحدة إلى الوراء. هذه هي الخطوات الرئيسية، لكنها تتم عبر دوائر وذراعاك تنثنيان على بعضهما. تماماً كما يفعل الطلاب وهم يرقصون أول رقصة للفتيات والصبيان معاً.

لم تقل له روز إنها لم ترقص مطلقاً. مع ذلك لديها فكرة عما يتحدث، فقد عملت في مقاه كثيرة وراقبت الرجال والنساء يتمايلون معاً على الأنغام. سألته: «أين تعلمت الرقص؟»

- جدتي لأمي أصرت علي وعلى مارني أن نتعلم الرقص. كلما ذهبنا لزيارتها كانت تسمعنا فرانك سيناترا أو بيري كومو، وكنا نمضي على الأقل ساعة بأكملها ونحن نتعلم خطوات الرقص التي أقسمت أن جدي خطب ودها وتودد إليها بواسطتها.

- خطب ودها؟

ضحكت بصوت عالٍ على تلك الكلمة القديمة الطراز.

- ألم يتم أبداً خطب ودك؟

- لست متأكدة من ذلك.

أحنى ظهرها قليلاً ثم أعادها لتقف مستقيمة ببطء وهو يقول: «ألم يتودد إليك أحدهم؟»

شعرت روز بقلبها يضطرب بقوة، وقبل أن تفكر بالأمر أجابت: «هل قلت يتودد أم يتردد؟»

قال مايسون وهو يضحك: «اختلط علي الأمر أنا أيضاً».

- إذاً، علمتك جدتك الرقص.

- في الواقع، هذه الخطوات تعلمتها بنفسي، لكنني أدين لها

برقصة التشاتشا والفالس.

- أنت رجل متعدد المواهب.

ثم اعتذرت منه مجدداً ما إن داست على قدمه ثانية. الطريقة التي يراقصها بها جعلتها تشعر بالسعادة. إنها طريقة قديمة الطراز مثل عبارة «يخطب ودها»، فيده اليمنى تلامس ظهرها برقة ويده اليسرى تمسك بيدها اليمنى. بالكاد هما يتلامسان فيما سيلينا تغني أغنية غرامية.

تنهدت روز وهي تقول: «هذه الأغنية حزينة جداً».

- لماذا تقولين ذلك؟ هل تعتقدين أن الوقوع في الغرام أمر محزن؟

- لا أعلم.

- أحقاً؟

أبعدها قليلاً إلى الوراء ليتمكن من النظر إلى عينيها.

- لم أغرم مطلقاً من قبل.

راقبت فمه وهي تتكلم. وعلمت أنه حقاً يملك ابتسامة جميلة جداً.

- إذاً لماذا تقولين إن هذه الأغنية حزينة؟

- توفيت المطربة في حادثة مؤسفة. ما إن بدأت بتحقيق حلمها حتى قضى شخص ما على حياتها. كلما سمعت هذه الأغنية أفكر بها وأتساءل كم من الأغاني الجميلة كانت ستغني لو أنها ما زالت حية.

- حسناً! هذا أمر آخر يمكنك التفكير به في المرة التالية عندما تسمعين الأغنية.

لم يكن مايسون متأكداً من أين أتته تلك الرغبة المفاجئة، لكنها بدت قوية جداً ولا يمكن مقاومتها. أحنى رأسه وعانقها... وقفت روز بين ذراعيه، لكنها لم تبتعد عنه، وهكذا تمكن من إطالة العناق.

أهذه دقات قلبها هي أم قلبه؟ لم يضع الوقت في محاولة التفكير بالأمر هو أيضاً، فلديه ما هو أكثر أهمية. أمسك بذراعيها ورفعهما

تمكنا من الإحاطة بعنقه، وهمس قائلاً: «روزي!»

روزي! هي ليست روزي... إنها روز. روز بانيت، وروز بانيت ستغادر هذا المكان قريباً جداً. لا يمكنها التورط في علاقة مع شخص مثل مايسون، شخص قد يجعلها ترغب في البقاء.

ابتعدت عنه ما إن انتهت أغنية سيلينا. علمت أنها ستتذكر هذا العناق سواء سمعت الأغنية أم لا.

- سأذهب لرؤية بارغن، ربما هو بحاجة إلى المساعدة في المطبخ.

- بارغن ليس بحاجة إلى أية مساعدة.

زفر مايسون بقوة قبل أن يتابع: «روزي، بشأن...».

- اسمي روز.

- أعرف ما هو اسمك.

سمعت نبرة فقدان الصبر في صوته وهذا ما فاجأها.

- إذاً، لماذا تستمر في مناداتي روزي؟

رفع كتفيه قبل أن يجيب: «لا أعلم. يبدو لي أنه يناسبك أكثر. اعتبريه اسم التحبب».

قالت بعناد واضح: «لدي اسم تحبب. إنه روز».

لم تدرِ لماذا راحت تجادله بشأن اسمها، فهي تعلم في قرارة نفسها من تكون، لكنها افترضت أنها تريده أن يعلم بذلك هو أيضاً.

- من الذي أطلق عليك هذا الاسم؟

حدقت إليه بغضب وأجابت: «أنت تعلم من الذي أطلق علي اسمي».

- أعلم أن مكتب حماية الأطفال أسماك روزاليند. لكن من بدأ بمناداتك روز؟

سؤاله أيقظ فيها ذكريات مؤلمة. استدارت روز، ثم أمسكت منشفة

التنظيف وبدأت بمسح طاولة قربها بغضب وبحركة عنيفة. لم يلمسها مايسون، لكنها شعرت به وراءها واقفاً يحدق بها بصبر وهدوء.

بدت نبرة صوته كالهمس عندما سألها: «من الذي أسماكِ روز؟»

تحركت نحو طاولة أخرى من دون الإجابة عن سؤاله. لكن الذكريات اقتحمت ذهنها فشعرت بالحزن والألم من جديد.

بالطبع، اسم التحبب لها هو روزي، وهذا ما ناداها به أول شخصين تبنياها.

- سنصبح عائلة، وستكونين ابتنا الصغيرة روزي.

هذا ما كانا يقولانه لها في كل ليلة وهما يقبلانها ويتمنيان لها ليلة سعيدة قبل نومها. لكن لم يكن كل أفراد عائلتهما متحمسين بأي حال لتبقى بشكل دائم. عندما بلغت السادسة من عمرها أصبح اسمها روز بسبب ولد شرس عنيف قام بتدخين علبة السجائر وأطفأها كلها على ذراعها. تصرفه المشين أدى إلى نقلها إلى مكان آخر. لم يكن بيد الوالدين اللذين تبنياها حيلة، إلا أن يرسلاها بعيداً، فهي مجرد طفلة رياها لثلاث سنوات، لكنه ابنهما الطبيعي.

قالت روز، وهي تضع المنشفة في الدلو: «ليس للأمر أهمية، سأذهب لأرى إن كانت مارني بحاجة إلى المساعدة في عملها».

- حسناً!

تردد مايسون للحظة قبل أن يضيف: «روزي!»

لكنها ذهبت، فارتمى على كرسي وهو يوبخ نفسه. يا له من أحمق! إنها امرأة تسافر وهي لا تحمل إلا حقيبة صغيرة. هو لم يقابل في حياته امرأة لا تملك متاعاً. قال له عقله محذراً: لا تتدخل، ولا تتورط! حسناً! حياتها ليست مشكلته، بالرغم من رغبته في التقرب منها.

إنها مجرد جاذبية حسية. لهذا السبب عانقها. العناق لن يسبب لها أي أذى على أي حال ما دام الأمر لن يتكرر مطلقاً.

٤ ـــ لحظة امتنان

لم يتحدثا عن ذلك العناق أثناء ذهابهما إلى منزليهما تلك الليلة، أو في صباح اليوم التالي عندما قرع باب شقتها وهو يحمل فنجان قهوة تفوح رائحته الشهية بيده، وقد ظهرت على وجهه ابتسامة مرتبكة.

- سمعتك تتحركين في الشقة وأنا ذاهب إلى المرآب لأحضر مجرفة للثلج، فأحضرت لك هذا.

قدم مايسون لها كوب القهوة، وتابع: «أعلم أن ليس لديك أي طعام أو شراب في الشقة».

قالت روز: «ادخل».

تمنت ألا يلاحظ أن بنطلون الجينز القديم الذي ترتديه مع قميص قطنية هما بيجامتها.

أشار إلى جهاز التدفئة قائلاً: «الطقس بارد قليلاً هنا، هل تعمل المدفأة بشكل جيد؟»

- لا بأس بها، فأنا أفضل الجو المائل إلى البرودة.

- آه!

وضع يديه في جيبي سترته، ووقف داخل الغرفة قرب الباب وقد بدا متوتراً مثلها تماماً.

قالت روز: «أتريد بعض...».

توقفت عن الكلام ما إن تذكرت أن لا شيء لديها لتقدمه له.

مررت يدها في شعرها، وللمرة الأولى منذ سنوات تساءلت كيف تبدو...

- لا شيء لدي لأقدمه لك مع القهوة.

ساد الصمت بينهما، وبعد لحظات قالت: «في مطلق الأحوال. شكراً».

- هناك المزيد من القهوة في المنزل.

قال مايسون ذلك وهو يبتسم، ما أذاب بعض التوتر بينهما.

- هناك إبريق كامل في الواقع. لماذا لا تبدلين ثيابك وتأتين إلى منزلي لتناول الفطور؟ بعد ذلك سأصطحبك إلى البلدة لتحضري بعض الخضار والفاكهة.

أحبت روز فعلاً فكرة تمضية النهار برفقته، لكنها قالت: «أنا متأكدة أن لديك أشياء أفضل لتقوم بها نهار الأحد بدلاً من اصطحابي لشراء الطعام».

- أنت على حق! سنذهب إلى الكنيسة أولاً.

غمزها مايسون بخفة، وغادر تاركاً إياها تتساءل إن كان فعلاً يتوقع منها أن تذهب إلى الكنيسة بصحبته.

استحمت روز ليلة الأمس ما إن عادت من عملها، لذا كل ما عليها القيام به هو أن تغسل وجهها وتنظف أسنانها. نظرت إلى المرآة، وحدقت بالشعر الأشعث الذي يغطي رأسها وعبست. للحظة تذكرت عندما كان شعرها طويلاً يصل إلى كتفيها، وذلك عندما كان لديها مكان دائم للإقامة فيه. عملها في أماكن عامة جعلها تقتنع أن من الأفضل أن تقصه وتتخلى عن أي نوع من مساحيق التجميل أيضاً. العيش في الطرقات مع ذلك الشعر الكثيف الطويل سيجذب الأنظار إليها، أنظارلا ترغب أية امرأة عاقلة بأن تلاحقها. بعد إلقاء نظرة أخيرة على صورتها في المرآة بدلت روز ثيابها، فارتدت سروال جينز وقميصاً قصيرة الكمين، ثم حملت معطفها وفنجان القهوة، ونزلت الدرج الذي عمل مايسون على تنظيفه من الثلج.

ارتفعت سماكة الثلج أثناء الليل. وقفت للحظة مندهشة من جمال هذا الغطاء الأبيض النقي الذي يغمر الشاطئ الصخري، تأملت الأغصان الدائمة الخضرة فوقه والسماء الزرقاء الصافية الذي يكاد صفاؤها يؤلم العين إن نظرت إليها محدقة.

قال مايسون: «منظر رائع الجمال. أليس كذلك؟»

رآها تقفز في مكانها من كلماته التي همس بها بنعومة، فأجفل. لم يقصد أن يروعها. اعتقد أنها رأته في الباحة يضيف بعض البذور إلى الوعاء الخاص بطعام الطيور ما جذب على الفور مجموعة مشاكسة من القرقف الأميركي ذات الرؤوس السوداء.

بدت ملامح الدهشة على وجهها وهي تتأمل المناظر الطبيعية أمامها. في تلك اللحظة من عدم الحذر، رآها جميلة جداً.

- هيا، ادخلي!

سار أمامها وفتح باب المنارة.

ترك حذاءه ذا الساقين العاليين على السجادة قرب الباب ثم علق معطفه على مشجب، ومدّ يده ليأخذ معطفها. إنه معطف رقيق جداً لا يصلح لهذا الطقس، ولن يحميها من عصف الرياح ولا من صقيع الثلج القارس. إنها تنتعل حذاء رياضياً يبدو بالياً حتى نعليه. ما إن انحنت لتنزع رباط الحذاء، حتى أدرك أنها لا تملك حذاء دافئاً للثلج، ولاحظ جوربيها الرقيقين وإبهام رجلها البارز من أحدهما.

لم يعرف مايسون يوماً الفقر، لكنه يعلم تماماً ما هو. مع ذلك ها هي روزي تتصرف وكأن كل شيء يسير على ما يرام. حتى إن جوربها المثقوب لم يسبب أي إحراج لها.

قالت وهي تتبعه إلى المطبخ الصغير: «مكان جميل حقاً».

- شكراً. إنه صغير ويحتوي على خزائن كالعلب، كما أن الغرف غريبة الأشكال وليس هناك إلا غرفة حمام واحدة، لكن كما قلت لك،

لا يمكنكِ أن تقاومي جمال المناظر هنا.

أشار نحو النافذة الواسعة، فعلمت أنه على حق. هي امرأة تشعر بالضيق والملل مما يحيط بها، وهذا ما يدفعها دوماً إلى الانتقال. لكن في هذا المكان، لا تعتقد أنها قد تشعر يوماً بالملل بوجود مناظر طبيعية تحبس الأنفاس كهذه.

جلست على كرسي قرب الطاولة التي تقسم المطبخ إلى نصفين، فيما وقف مايسون في الجهة المقابلة وقد أشعل الموقد الذي يعمل على الغاز.

- أيناسبك البيض؟ لست ماهراً في إعداد الطعام، لكنني أجيد إعداد البيض المخفوق.

- أجل، شكراً. هل النافذة موجودة هناك منذ زمن بعيد؟

رفع نظره إلى حيث أشارت، ثم ملأ فنجانها من جديد بالقهوة وسكب لنفسه فنجاناً أيضاً. مزج البيض والحليب معاً في وعاء. ثم قال: «كانت النافذة أصغر من هذه، لكنني أجريت بعض التعديلات هنا».

في الواقع، قام مايسون بأكثر من ذلك. هدم الجدران الداخلية للمنارة، كما أمن نظاماً من الإنارة حديث الطراز، أما الخزائن والنوافذ فأصبحت أكثر اتساعاً.

- إذاً، أنت نشأت في تشينس هاربور؟

بدت روز متأثرة بما قالته، فأدرك أن ذلك المفهوم غريب عنها، لأنها لم تمضِ وقتاً طويلاً في مكان واحد.

- أجل كنا نتشاجر أنا ومارني كل صباح في سباقنا للدخول إلى غرفة الحمام أولاً في منزل والدينا حتى غادرت إلى الجامعة.

- الجامعة... أحقاً؟

ظهر الحزن في نبرة صوتها وهي تتابع: «وما هي الإجازة التي تحملها؟»

- إجازة في القانون الجنائي.

- هذا اختصاص غريب لمالك مقهى. أليس كذلك؟

رفع مايسون كتفيه وقال: «لكنه ليس كذلك بالنسبة إلى شرطي».

- شرطي؟

- عملت في الشرطة لست سنوات في ديترويت، وقمت ببعض أعمال التحري بعد ذلك.

تمتمت وهي ترشف قهوتها: «مايسون سترايكر، التحري الشهير. يبدو ذلك كأنه مسلسل تلفزيوني».

ليس هناك أي سحر أو فتنة في تلك المهنة، فهي ليست كما تبدو في المسلسلات التلفزيونية. بالطبع، هو يدرك أكثر من معظم الناس كم تبدو الحقيقة مرة وحزينة. لم يكن عمله كله سيئاً بالطبع، لكن لم يكن هناك أي سحر أو بريق. أمضى مايسون معظم أيامه متحدثاً على الهاتف أو في السيارة باحثاً عن أجوبة، فالعمل المكتبي جزء من عمل الشرطة.

كما أنه ليس بالعمل الخطر، أيضاً إلا إذا تخلى المرء عن الحذر... وإلا إذا تم خداعه واستدراجه...

قالت له روز: «أعتقد أنك خفقت البيض بما فيه الكفاية».

احتاج مايسون للحظة ليدرك أنه حول المزيج إلى لون أصفر باهت. سكب المزيج في المقلاة الواسعة. تناولا الطعام بصمت، ما جعل روز تتساءل ما الذي حدث لمايسون وجعل مزاجه بهذا الحزن.

* * *

عند الظهر تماماً، أوقف مايسون شاحنته في موقف صغير تابع لبناء أبيض اللون، إنها كنيسة جميلة تصلح صورتها لبطاقة بريدية رائعة الجمال. لكن ذلك الموقف هو بالطبع أسوأ كابوس عاشته روز يوماً.

قالت ما إن بدأ مايسون يفتح بابه: «لا أستطيع الدخول إلى هناك».

- ما من داع لتكوني من البلدة حتى تحضري القداس.

أدارت عينيها مستغربة، فالرجل لا يملك أدنى فكرة عما تتحدث.

قالت بإصرار: «لا أستطيع دخول الكنيسة، انظر إلى ثيابي».

وفكرت، انظر إلي... من أنا؟

- ما ترتدينه ليس مهماً، فالله لن يحاسبك على أناقتك.

هذه كلمات سهلة بالنسبة إلى رجل يرتدي سروالاً كاكي اللون وكنزة نظيفة. كلمات سهلة بالنسبة إلى رجل لم يضطر إلى المبيت مرة تحت أحد الجسور أو في مدخل مبنى قذر لاعناً وجوده، أو سائلاً خالقه عن سبب ذلك الوجود.

قال وهو يفتح لها الباب ويمسك بيدها: «ستكونين بأمان. أعدك بذلك. سنجلس في المقاعد الخلفية، ولن يلاحظنا أحد».

لن يلاحظنا أحد؟ يمكن لروز أن تقسم أن كل الموجودين المحتشدين توقفوا عن الترنيم عندما دخلا، أو تبدلت أصواتهم على الأقل، وحلت مكانها الهمسات والتحديق بقوة. ربما هناك علاقة بين ما حدث وحقيقة أن مايسون دخل من الباب الجانبي للكنيسة والذي يفتح مباشرة على المذبح.

قالت من بين أسنانها وهي تلاقي عشرات النظرات الفضولية المحدقة بها: «أظنك قلت إننا سنجلس في المؤخرة أليس كذلك؟»

- هذا ما سنفعله، لكننا وصلنا متأخرين.

هز رأسه باتجاه رجل يلبس رداء طويلاً كان في تلك اللحظة يسير ببطء عبر الممر في وسط القاعة ترافقه مجموعة من الأشخاص، وهم يحملون شيئاً ما. لم تحضر روز قداساً من قبل، لكنها علمت أن هذا الرجل هو الكاهن لأن الصلاة بدأت بعد قليل.

سارا بسرعة عبر الممر بجانب الصفوف المليئة بالمصلين. لم تدرك روز أنه ما زال ممسكاً بيدها حتى توقف مايسون في الصف الأخير

وقام بانحناءة مضحكة على ركبة واحدة ففعلت مثله. حاولت ألا تقوم بأي شيء يجذب المزيد من الأنظار إليها. راحت الانغام تصدح في المكان، لكنها ليست من النوع الذي يدعو للتصفيق كتلك التي كانت تسمعها عندما كانت تذهب إلى الكنيسة مع العائلة رقم ثلاثة التي تبنتها. مع ذلك، شعرت بشيء ما يتحرك في أعماقها من كلمات ترنيمة واحدة بشكل خاص، ووجدت نفسها ترنمها بعد أن انتهى القداس وبدأا بالمغادرة إلى الخارج.

عدد من الناس حيوا مايسون بالاسم وهو يمر أمامهم. منهم من صافحه وربت على ظهره بود وصداقة، أما هي فرمقوها بنظرة فضولية وابتسامة مترددة، ثم تلفظوا بتحية مهذبة عندما قدّمها لهم، وقد قدمها مايسون لكل شخص منهم باهتمام واحترام.

- هذه روزي بانيت. إنها جديدة في البلدة وتعمل في المقهى.

بدت كلماته صادقة، مع ذلك جعلتها تشعر كأنها مخادعة، وأن رصاصة ستنطلق لتصيبها في رأسها وترميها أرضاً في أية لحظة.

وجدا مارني واقفة قرب سيارة مايسون وهي تبتسم بحماقة عندما وصلا إليها. شيء ما حدث بين الأخ وأخته، نظرة غامضة جعلت مارني تبدو فرحة ومايسون يبدو مقطب الوجه.

قالت مارني لروزي: «لم أكن أعلم أنك متدينة».

- ولا أنا.

علق مايسون بنبرة متهمة: «لم أكن أعلم أنك تحضرين مراسم الظهر».

رفعت مارني كتفيها بلا مبالاة وهي تقول له: «لم ننهض أنا وهال باكراً هذا الصباح، لذا لم نستطع حضور قداس الساعة العاشرة».

بالرغم من ابتسامتها الماكرة التي تعلن بصراحة أنها تزوجت حديثاً، تابعت كلامها وهي تسألهما معاً: «ما الذي ستفعلانه اليوم؟»

- فكرت في اصطحاب روزي إلى المتجر، وربما سأذهب للعب الباكرز بعد ذلك.

علقت مارني بسخرية: «يا إلهي، مايس! من المؤكد أنك تعيش يومك حتى الثمالة».

تذكرت روز أن نهار الأحد هو اليوم الوحيد الذي يقفل فيه المقهى أبوابه، ما جعلها تشعر بالارتباك لأنها احتلت معظم ساعات يومه، لذا قررت ألا تأخذ المزيد من وقته.

- أتعلم، مايسون؟ لا داعي لأن تصطحبني إلى المتجر، فالمكان ليس ببعيد، وأنا لا أرغب في شراء الكثير. يمكنني الذهاب سيراً على القدمين، فالنهار جميل ومشرق.

نظر إليها الشقيقان كما لو أنه نبت لها رأس جديد. لكن مايسون قال لها بصبر: «سأقلك بنفسي إلى المتجر».

بعد مرور عدة دقائق، أنزلها أمام متجر «اشتر وادخر» ووعدها أن يعود في غضون نصف ساعة.

- سأذهب إلى محطة الوقود في آخر الشارع. أريد أن أغسل الجيب وأملأ الخزان بالوقود.

بعد مرور عشرين دقيقة، عاد مايسون فوجد روزي تتجه نحو طاولة المحاسبة. لاحظ وجودها على الفور ما إن دخل المتجر، إنها طويلة ونحيلة، وترتدي ثياباً غير مناسبة لهذا الطقس في المدينة، فكيف بها في بلدة تعيش على العواصف الثلجية.

لم يحاول أن يجعلها تشعر بأقل جزع بسبب مظهرها عندما قال لها إنه لا يجدر بها أن تقلق لأنها ترتدي سروال جينز باهتاً وسترة رقيقة من الكتان الأزرق للذهاب إلى الكنيسة، فالله لا يهتم مطلقاً للثياب. لكن الأمر مختلف عندما يتعلق بالطبيعة.

راقبها تضع مشترياتها على حزام المشتريات عند طاولة الاستلام.

لم يكن هناك الكثير من الأشياء، نصف دزينة من معلبات الفاكهة والخضار، رغيف من الخبز، زبدة، بيض، حليب وقهوة جاهزة، وكيس أحمر من رقائق الأرز، اعتبره مايسون شيئاً تدلل نفسها به. وتماماً كما جال على مشترياتها جالت عيناه على ملامحها، محاولاً مرة ثانية أن يفهم السبب الذي يجعلها تبدو جذابة بالنسبة إليه.

من المؤكد أنه ليس شعرها، فهو أشعث. كما أنها لا تضع أية مساحيق تجميل على وجهها، حتى لو مسحة من أحمر الخدود على خديها الباهتين. أما مشيتها الحذرة المتوترة فتجعلها تبدو متحفزة لأي هجوم محتمل. من المؤكد أن هذه الأمور لا تثير انتباه أي رجل أو إعجابه، لكنها - ولسبب ما لا يعرفه - تثير إعجابه.

أغمض مايسون عينيه وتنهد وهو يشعر بهذا الاحساس من جديد الآن. فكر أن هذا مجرد انجذاب حسي، وبإمكانه التعامل معه: إنه نبه الذي أوصله إلى كل تلك المشاكل والمعاناة في المرة الماضية.

قالت روز بصوت عالٍ ما إن لمحته: «كدت أنتهي».

لاحظ توترها يتلاشى لتحل مكانه ابتسامة مترددة، فشعر على الفور بدقات قلبه تقفز كسهم ناري.

إنه شخص عاجز عن مقاومة إغواء النساء الضعيفات، هذا كل ما في الأمر. أكد لنفسه ذلك مجدداً. وقفت روزي بطريقة جانبية بالنسبة إليه، فراقبها وهي تضع يديها في جيبي سروالها الأماميين، فعلم أن ليس هناك أي أثر للشهامة والفروسية في أفكاره.

انضم مايسون إلى روز وهي تقف أمام طاولة المحاسبة، فهز رأسه تحية باني ليندمان. ذهب مايسون مع باني إلى المدرسة. هذه المرأة الشاحبة الوجه كانت جميلة حينها، لكنها الآن بدينة بعد أن أنجبت ثلاثة أطفال. الآن هي مجرد امرأة وحيدة وتشعر بالمرارة بعد أن هجرها زوجها، وهي مولعة في إقحام نفسها بعمل كل شخص آخر،

والعيش في بلدة صغيرة يجعل هوايتها تلك سهلة جداً.

- مرحباً، مايسون! هذه مفاجأة حقاً.

لمع التفكير في عينيها، وهي تنقل نظرها بينه وبين روزي.

- مرحباً، باني. هل الأولاد بخير؟

- بخير... بخير.

أبعدت سؤاله عن تفكيرها وكأنها مشتاقة لتصل إلى موضوع أكثر إثارة وأهمية. قالت بحماس: «لم أدرك أنها صديقتك».

قام مايسون بتعريف السيدتين على بعضهما بالرغم من كرهه لذلك. من نظرة الاستغراب التي ظهرت على وجه روزي، علم أنها فهمت بسرعة أن باني مجرد امرأة تحب الثرثرة والأقاويل.

- لا بد أنك جديدة في البلدة. هل أنت الفتاة التي استخدمها مايسون لتحل مكان كارول؟

فكر مايسون وهو يتنهد بصوت مكتوم، ها قد بدأت التحقيقات والاستجوابات!

- أجل.

- من أين أنت؟ أقصد... المكان الذي ولدت فيه.

- ديترويت.

- آه! أنت ابنة مدينة، إذاً؟

امتلأت نبرة صوت باني بالشفقة، لكن ذلك لم يصل مطلقاً إلى عينيها وهي تتابع: «لم أظن يوماً أن مايسون سيواعد فتاة أخرى من المدينة، لا سيما بعدما حدث في المرة الأخيرة».

رمته روزي بنظرة متسائلة، لكن قبل أن يتمكن من الكلام قالت: «نحن لا نتواعد».

قلبت باني شفتيها كأنها تقول بوضوح إنها غير مقتنعة بما سمعته، لكنها لم تقل شيئاً.

سألتها روزي: «بكم أدين لك؟»

بلغ مجموع ما اشترته أقل من عشرين دولاراً. وضعت الأغراض كلها في كيس ورقي واحد بني اللون. لم تكن روز تحمل حقيبة يد، وهي المرأة الوحيدة التي لا تفعل من بين النساء اللواتي قابلهن مايسون. فمن خلال تجربته هو يعرف أن معظمهن يحملن حقائب تتسع لأمتعة حقيبة السفر، ولطالما تساءل ما الذي يضعن فيها بالتحديد. أما روز فمدت يدها إلى الجيب الأمامي لسروالها للمرة الثانية وسحبت أموالها. أخرجت بعناية ورقتين من فئة العشرة دولارات وسلمتها إلى المرأة المحاسبة.

ما إن أعادت باني المال المتبقي لروزي، حتى قالت: «إذاً، أنت لا تتواعدين مع مايسون؟»

- لا.

مالت روزي نحوها بطريقة متعمدة، وأضافت هامسة بثقة واضحة: «بل أنا أعيش معه».

* * *

- لا أصدق أنك قلت لها ذلك.

تمتم مايسون بذلك وهو يسير برفقتها حاملاً لها الأغراض ومتجهاً نحو الجيب.

نظر إلى المتجر من جديد وهو يتابع: «على الأرجح أنها اتصلت بنصف سكان البلدة الآن. صدقيني! إصبعها الذي يطلب أرقام الهواتف بدأ بالعمل مذ غادرنا».

لم تكن روز متأكدة من السبب الذي دفعها إلى قول ذلك، لكنها الآن شعرت بالندم. ليس لديها ما تخسره من تلك الإشاعة الكاذبة، فهي سترحل قريباً، لكن على مايسون العيش هنا، وعليه أن يتعامل مع كل الشائعات والهمسات التي ستدور في البلدة.

سألته بجد وبإحساس قوي بالندم: «هل أسأت إلى سمعتك؟»

- هل تمزحين؟

سار من ورائها وأدارها لمواجهته بسرعة جعلت قدميها تتعثران في الثلج، وقبل أن تفقد توازنها أمسك بها من كتفيها. لم ترَ روز الغضب على وجهه الوسيم بل رأت اهتماماً بدائياً وقوياً جداً.

- يمكنني التفكير بأسباب أكثر سوءاً تجعل الرجل حديث البلدة من افتراض الناس أنه يقيم علاقة مع النادلة الجميلة التي تعمل لديه.

الجميلة؟!

في العادة لا تسمع روز هذه الكلمة عندما يدور الكلام عنها. قررت أن هذا هو السبب الذي جعل أنفاسها تضيق في صدرها، ولهذا السبب أيضاً سمعت دوي دقات قلبها في أذنيها.

وقفت على رؤوس أصابع قدميها لتتمكن من النظر إلى عيني مايسون. عانقها مايسون منذ أقل من أربع وعشرين ساعة، أما هي فلم تعانق أحداً في حياتها.

نادراً ما عاشت أية لحظة من الاتصال الحسي أو العاطفي مع شخص آخر، سواء كان ذلك حباً أفلاطونياً أو علاقة أكثر حسية. رأت عينيه السوداوين وقد أصبحتا أشبه بلون شراب الشوكولا. رأتهما تتسعان قليلاً عندما تصور ما الذي ستفعله. ما زالت تذكر منذ أيام المدرسة أن أستاذاً ما قرأ بعض الأشعار عن العيون، فقال إنها نوافذ الروح. اعتقدت روز يومها أن ذلك مجرد كلام أحمق.

لكن عيني مايسون هما حقاً نافذتان لشيء ما... إن كان ذلك الكلام صحيح فلا شك أن روحه جميلة. لكن الأمر الأكثر أهمية فهو أنه يرى روز كما يريدها أن تكون لا كما هي في الواقع. بطريقة ما، هو يراها أكثر نعومة وأكثر جاذبية وأنوثة، والأهم من ذلك أكثر تهذيباً وصفاء من المرأة المقاتلة المتمسكة بالحياة التي هي عليها.

إنه يرى امرأة يدعوها روزي.

الامتنان! هذا كل ما تشعر به نحوه. قالت ذلك لنفسها وهي تعانقه. اعتمدت على حدسها محاولة أن تفعل ذلك ببراعة. وضعت يديها على كتفيه بجرأة، ومالت نحوه... وتعانقا.

شعرت أنها تستطيع الوقوف هنا طوال النهار وهي تعانقه في ذلك الموقف المتجمد من البرد لولا سماعها صوت بوق سيارة قوي. ابتعدت عنه مجفلة، وبالكاد سمعت برايس باتل يصيح بتذمر من نافذة شاحنته المفتوحة قبل أن يوقف الشاحنة في مكان يبعد قليلاً عنهما. جاء تعليقه حول تصرفهما الوقح قاسياً، لكنه مصيب بدون أي شك.

لكنها في تلك اللحظة من العاطفة الصادقة تجاهلت الثلوج التي تحيط بهما والحرارة المتدنية وكل من يراقبهما. كما أن العناق لم يكن من جهتها فقط. شعرت بالدفء والتورد في وجهها ما إن تذكرت كيف تحركت يدا مايسون من كتفيها إلى ظهرها وكيف استقرتا على خصرها. تذكرت كيف شدها بلطف لتصبح أكثر قرباً منه. ليلة البارحة، بدا متحفظاً وقديم الطراز وهو يراقصها ويدور بها في أرجاء الغرفة. أما الآن فليس هناك أي تحفظ في الطريقة التي يمسكها بها. منذ متى لم يتورد خداها خجلاً؟ شعرت بالحرارة تزحف إلى عنقها وتحرق خديها، بالرغم من الرياح الباردة اللاذعة كالسياط من جهة الغرب. عندما حاولت الابتعاد أمسك مايسون بيدها وأعادها لتقف قربه تماماً.

قال ممازحاً: «عليك التوقف عن القلق بشأن سمعتي».

ثم أضاف بنبرة هادئة وقد علا الحزن ملامح وجهه: «كان ذلك تصرفاً لطيفاً منك، روزي».

لم تقل روز أي شيء. إنها ليست بارعة في التخاطب كما في الكتابة، فالكلمات هي نقطة ضعفها الدائمة. ها هي عاجزة الآن، فلا شيء تستطيع قوله كاف لوصف عاطفتها أو حتى أفكارها، لأن هذا

العناق البسيط جعلها تشتاق إلى أمور أساسية في الحياة، المنزل الدائم، العائلة. . . والحب.

إنها أمور مستحيلة تملصت منها لأكثر من عشرين عاماً، ومع ذلك تاقت إليها في بعض الأوقات بيأس مطلق.

رفع مايسون يدها إلى شفتيه وطبع قبلة فوق أصابعها تماماً. تصرفه هذا ينم عن شهامة ولطف بالغين، ولسبب ما جعلها تشعر أنها لا تستحقه وهي تقف هناك بثيابها البالية الرقيقة.

لاحظ مايسون اضطراب عواطفها على وجهها؛ الضعف والحاجة والحزن. . . قدرته على رؤية ذلك كله أعلمته أن العناق أثر بها كثيراً لدرجة أن حذرها وقلقها خفتا قليلاً. أي رجل بدون ضمير كان ليستغل هذا الوضع لمصلحته، لكن رجلاً مثله كانت لديه علاقة سابقة مع الجنس الآخر تركت قلبه محطماً سوف يتحلى بالحكمة كي يتراجع.

قال لنفسه: دع الأمور هادئة وبسيطة، فلا داعي ليكون لهذا العناق أي معنى.

فتح باب السيارة لها وهو يقول: «يداك باردتان. علينا أن نشتري لك قفازات دافئة».

* * *

أصر مايسون على حمل كيس الأغراض لها عندما وصلا إلى المنزل.

تمتمت وهي تسير وراءه عبر الدرج: «أنا لست عاجزة».

لكن في أعماقها تأثرت بحسن طباعه، فمعظم الرجال الذين تعرفت إليهم في السنوات العديدة الماضية اعتبروا أن استعمالهم لمنديل بدلاً من كم قميصهم أمر لا ضرورة له.

أصيب كلاهما بالدهشة عندما وجدا أن هناك ضيفة لدى روز. جلست مارني على الأريكة تقرأ كتاباً سرعان ما خبأته في حقيبتها

كثيرة ما إن دخلا. وقفت وتمطت قليلاً بحركات رشيقة وأنيقة.

- تساءلت متى ستعودان.

سألها مايسون: «ما الذي تفعلينه هنا؟ ألا تعلمين أن ليس من المهذب الدخول عنوة إلى منازل الآخرين بدون دعوة؟ كما أنك تتصرفين وكأنك في منزلك».

لم تجبه مارني، بل ابتسمت لروز ابتسامة اعتذار وقالت: «آسفة، لم أعتقد أنكما ستتأخران في المتجر».

علق مايسون بمزاج نكد: «بإمكانك الانتظار في منزلي».

- بالطبع يمكنني ذلك، لكنني أتيت لرؤية روزي لا لرؤيتك.

استدارت وأشارت نحو كيسين كبيرين للتسوق وضعتهما بجوار الأريكة، ثم تابعت: «نظفت خزائني، وفكرت بأن هناك بعض الثياب التي يمكنك استعمالها. أعلم أن مقاسينا مختلفين، لكن. . .».

رفعت كتفيها ولم تكمل.

أودت روز أن تشعر بالاحراج من تلك المحاولة الصريحة في الاحسان. أرادت الرفض بتهذيب أو ربما بقليل من السخط والغضب، لكنها بدلاً من ذلك كادت تصرخ بحماس: ثياب جديدة!

لا بد أن هناك شيئاً ما يناسبها في هذين الكيسين، ما يسمح لها بأن ترمي إلى النار بالثياب التي ترتديها. وهذا ما ستفعله بكل فرح.

قالت وهي تحاول أن تبدو غير مكترثة: «دعيني أولاً أضع المشتريات في المطبخ».

عندما عادت وجدت مايسون يبتسم بفرح.

- هل علي البقاء لرؤية عرض الثياب؟

أجابت مارني قبل أن تتمكن روز من القيام بذلك: «لا. لكن يمكنك العودة بعد ساعة ومعك علبتين من الكولا، إحداهما بدون سعرات حرارية لي، وسندويشين من الشاورما».

سارت إلى حيث يقف، وربتت على خده وهي تكمل: «مايونيز بدون دسم لي، كما أنني أفضل الخبز الأسمر».

تمتم بضيق طوال الطريق وهو يتجه نحو الباب.

عندما سمع صوت إقفال الباب وراءه بدأت مارني بسحب الثياب من الكيسين: سراويل فضفاضة، كنزات، سراويل جينز، قمصان وحتى حذاء من الجلد عالي الساقين.

- ماذا تريدين أن تجربي أولاً؟

أسرعت روز بوضع ما اشترته في برادها الصغير والخزانة، ثم قالت: «هل أنت متأكدة أنك تريدين التخلص من كل هذا؟ بعض هذه الثياب بالكاد لُبست».

أجابت مارني ونبرة من الحسرة في صوتها: «بعضها بالكاد لبسته، وهي مجمعة في جزء صغير من خزانتي بانتظار أن أفقد بعضاً من وزني».

أجابت روز: «أتريدين أن تفقدي بعض الوزن؟ لماذا؟ أقصد... على الأقل لا أحد يخطئ ويظنك رجلاً».

- أجل، لكنني تخليت عن فكرة أنني سأتمكن من ارتدائها ثانية. اشتريتها وأنا أقوم بترتيبات زفافي. رحت أتناول الخس ثلاث مرات في اليوم لمدة شهر كامل لأتأكد من أنني أستطيع ارتداء ذلك الفستان. وقد بدوتُ رائعة الجمال حقاً حينها.

تنهدت مارني بشكل مسرحي قبل أن يعود إلى ملامحها مرحها الدائم. قالت: «حسناً! اخلعي ثيابك».

- عفواً؟

- سأنظر إلى الناحية الأخرى إذا كنت تشعرين بالخجل، لكن فكرت أننا سنرى ما الذي سيناسبك وما الذي سيحتاج إلى تعديل، بعدئذٍ سنبدأ بالعمل.

- تعديل؟

بدا لروز أن ذلك سيكلفها مالاً، وفي هذه المرحلة ستكون محظوظة جداً إن تمكنت من توفير ما يكفي من المال لشراء سيارة قبل عيد ولدها التالي.

علقت مارني: «ذلك ليس بالأمر المعقد، فقط مجرد درزة هنا وثنية هناك. أنا لست عاجزة عندما يتعلق الأمر بالخياطة».

ارتاحت روز قليلاً، وسمحت لنفسها بالاستمتاع بلحظات من الحماسة وهي تختار ثياباً جديدة وإن كانت مستعملة قليلاً. جالت يداها على القطن الناعم والصوف الدافئ قبل أن تمسك بسروال واسع بلون الشدة. أعطتها مارني معه كنزة سميكة عالية القبة بلون الطحلب.

- هذه الكنزة تبدو مناسبة جداً له، وأراهن أن اللون سيبرز جمالك. لم تكن يوماً مناسبة لي... حتى هال قال ذلك.

نزعت روز قميصها من فوق رأسها، وخلعت سروال الجينز مشتاقة لترتدي شيئاً ما غير الكتان على بشرتها. ما إن ظهر رأسها من عنق السترة حتى لمحت نظرة الرعب على وجه مارني. فهيأت نفسها لسماع أسئلة عن آثار حروق أعقاب السيجارة في ذراعها.

همست مارني: «يا إلهي!»

تنفست بصعوبة قبل أن تلتقي عيناها بعيني روز. بعد ذلك علت ملامح الاعتذار وجهها وهي تتابع: «آسفة، عزيزتي! لكن هذه الثياب الداخلية... أعتقد أن المتزمتات يرتدين ثياباً أكثر جاذبية من هذه. وبالنظر إلى حالتها يمكنني القول إنها أقدم عصراً من العصور الوسطى»

ضحكت روز بصوت عالٍ.

- لكن لن يراها أحد.

أجابت بنبرة دفاعية، مع أنها في قرارة نفسها تعلم أن لدى المرأة

الأخرى وجهة نظر صحيحة، فثيابها الداخلية بشعة جداً وداكنة اللون أيضاً.

مدّت مارني يدها إلى حقيبتها الواسعة وأخرجت منها إعلانين مصورين من تلك التي ترسل بالبريد. وضعت أحدهما أمامها قائلة: «انظري! كل ما ترينه هنا مصنوع من الحرير. إنها ثياب داخلية رائعة جدا من «فيكتوريا سيكرت»».

- أتحملين إعلاناً مصوراً للثياب الداخلية في حقيبتك؟

- صدقيني! إن لم أمسك بهذا الإعلان قبل أن يفعل زوجي فلن أراه مطلقاً.

فتحت مارني الاعلان، وأدركت روز على الفور السبب. كل امرأة تقف مظهرة جمال جسمها وتناسقه بثياب داخلية في منتهى الجمال والأناقة.

قالت لها مارني: «هذه تفصيلة رائعة، تظهر جمال الجسم بوضوح».

ثم حدقت بروز قبل أن تشير إلى الصفحة المقابلة.

- هذه أيضاً جميلة جداً فهي مصنوعة خصيصاً لذوات القياسات الصغيرة.

علمت روز أن عليها الاعتراف بأن تلك الثياب الداخلية جميلة جداً، بعدئذٍ ألقت نظرة على السعر.

- مارني، هذه الثياب أغلى من ميزانيتي. هل هناك أي شيء لنقل... بحدود العشرة دولارات؟

- آه، بالطبع! لا بد أن هناك شيئاً ما بهذا السعر.

قلبت عدة صفحات إلى الأمام، ثم أشارت بإصبعها إلى ثياب ترتديها عارضة أزياء شقراء، وقالت: «أحب التصاميم الفرنسية، وأعتقد أنها تتحف الجسم».

- كم قطعة منها تحتوي الرزمة الواحدة؟

- الرزمة الواحدة؟

- مقابل عشرة دولارات.

- آه، عزيزتي! هذا ثمن القطعة الواحدة فقط. إلا إذا اشتريت أربع، فهم سيحسمون لك دولارين. أرأيت؟

أشارت إلى الكتابة أعلى الصفحة، إلى كلمات لم تستطع روز قراءتها.

- أعتقد أنني سأتخلى عن التفكير بالأمر.

- هيا، روزي! دللي نفسك قليلاً. فكري بالأمر على أنه اهتمام بأنوثتك.

- لن توصلني أنوثتي إلى ويسكونسن. علي أن أوفر المال من أجل شراء سيارة.

وقفت ومدت يدها نحو السروال الذي وضعته على ذراع الأريكة. كانت تدخل الزر في العروة عندما فتح الباب ودخل مايسون إلى الغرفة.

- مرحباً، روزي! أفكر بالذهاب...

قبل أن يستدير بسرعة، لمحت روزي وجهه المتورد ارتباكاً وهو يتابع: «يا إلهي! آسف».

سألت مارني بنعومة: «لماذا لم تقرع الباب، أخي العزيز؟»

ثم ضحكت ما إن رتبت روز حاشية كنزتها فوق البنطلون.

- يمكنك أن تستدير الآن.

كان وجهه ما يزال متوردا، ووجدت روز نفسها متأثرة به.

- كان علي أن أقرع الباب.

وافقته مارني قائلة:

- هذا صحيح، لا سيما أنك قرأت علي هذا النص حول احترام

حرية الآخرين بنفسك منذ قليل.

تجاهلها مايسون تماماً وهو يقول: «لن أعتاد أبداً على الدخول إلى هنا بدون استئذان».

ثم نظر إلى أخته وتابع: «لا أحد منا سيفعل ذلك».

لم تعلق روز على اعتذاره، ولتتمكن من المحافظة على الجو هادئاً وأقل توتراً، قالت: «إذاً، قل لي ما رأيك بثيابي الجديدة؟»

أقر مايسون أنها تبدو رائعة.

حاول أن يجيب بهدوء وبذهن صاف:

- تبدين جميلة.

هذا صحيح. بل هي أكثر من جميلة، فالكنزة تجمع ما بين لون شعرها البني الأشقر وبشرتها البيضاء، أما السروال، ومع أنه واسع قليلاً، لكنه اختلاف واضح عن سروالي الجينز اللذين تملكهما.

بدت روز فجأة واثقة من نفسها وهي تقول: «شكراً. أخبرني ما الذي أردت قوله عندما دخلت؟»

- آه! صحيح. فكرت بالذهاب للتزلج.

أشار مايسون إلى الخارج عبر النافذة، ثم تابع: «هناك طريق يبدأ عند حدود الغابة ويمر أمام المقهى ثم ينعطف ليلتف حول الطريق الرئيسي. إنها مسافة لا تزيد عن الميلين لكنها سهلة جداً حتى بالنسبة للمبتدئين».

- أنا لا أملك حذاء للتزلج، و... ماذا سأرتدي أيضاً؟

- بإمكانك استعمال حذاء مارني القديم، فهي لم تستعمله منذ فترة طويلة.

أخرجت شقيقته لسانها له.

- لو أن الله أراد أن تتجمد أوصالنا من أجل القيام ببعض التمارين لما أوجد لنا الممر الشمالي.

تجاهلها مايسون ولم يعلق على كلامها، بل قال: «بالنسبة إلى الثياب، لا داعي لأن ترتدي ثياباً خاصة بالتزلج. ما الذي ترتدينه تحت هذه الكنزة؟»

رددت روز بينما انفجرت مارني بالضحك: «تحت الكنزة؟»

من بين قهقهاتها تمكنت مارني من القول: «ثق بي أخي الغالي، أنت لا تريد أن تعلم».

www.elromancia.com

٥ ــ لماذا؟

لم تكن روز متأكدة من السبب الذي جعلها توافق على الذهاب للتزلج عبر البراري مع مايسون، فالتزلج مرتبط بالعراء والهواء الطلق. إنه نشاط جسدي تقوم به برفقة رجل صممت على البقاء بعيدة عن الانجذاب نحوه. مع ذلك قبلت على الفور دعوته.

بعد تناول غداء خفيف ارتدت روز كنزة من الشياب التي قدمتها لها مارني، وانتعلت حذاء للتزلج شدت رباطيه حول ساقيها، وأمسكت عصاوي التزلج الطويلتين بيديها، كما اعتمرت قبعة ولبست قفازين، وبعد مرور عشر دقائق استنتجت أنها ليست ماهرة بالتزلج أيضاً.

- ربما علي العودة، وأنت يمكنك المتابعة بمفردك.

قالت ذلك وهي تقف في الجهة المنخفضة من الممر.

ابتسم مايسون وقدم لها طرف عصا التزلج ليتمكن من سحبها إلى الأعلى. قال واعداً: «ستتمكنين من تعلم التزلج، فهو ليس بالأمر الصعب. كل ما يحتاجه هو بعض التناسق والقليل من التمرين».

تلعثمت قائلة: «وأنا ضعيفة في كليهما».

حاولت بقوة أن تقف باستقامة، فهي لا تصدق أنها وضعت نفسها بإرادتها في هذا الموقف المهين، هذا من دون ذكر الألم الجسدي الذي تعانيه.

- إنه مثل لعبة البلياردو. أنت بحاجة إلى تركيز خاص حتى تصبحي بارعة.

أضافت روز: «وإلى التمرين... الكثير من التمرين، فأنا ألعب البلياردو منذ سنوات».

- حسناً! لكنك تحتاجين أيضاً إلى التركيز. ركزي على بعض التفاصيل، وتخيلي ما الذي تريدين القيام به في رأسك، ثم اجعلي حركاتك مرنة لكن هادفة. الأمر كله يتعلق بالتناغم. راقبيني!

استدار مايسون وانزلق عبر الممر لمسافة قصيرة. درس في الحركة البطيئة الماهرة، ودرس في الجمال المثالي. حركت رأسها باستحسان وهي ترى عضلات جسمه تتحرك برشاقة. قال يناديها: «راقبي كيف تحرك ساقاي مع ذراعي».

تمتمت: «آه! أجل. أنا أراقبك».

ثم هزت رأسها. توقف مايسون واستدار، بدت نظرته مليئة بالصبر وهو يقول: «والآن دعينا نرى كيف تفعلين ذلك، روزي».

زفرت روز نفساً طويلاً، ثم غرزت العصا في الثلج تماماً كما فعل مايسون، وتمتمت محدثة نفسها: «سواء كنت جاهزة أم لا».

قال يرشدها وهي تتقدم: «هيا! يمين، يسار، يمين، يسار».

علمت أن حركاتها ما زالت ثقيلة ومترددة، لكن شيئاً ما تحقق جعلها تحرز نجاحاً. فجأة بدا لها أن الأمر بحاجة إلى مجهود أقل. بعد مرور نصف ساعة تمكنت من التزلج بمهارة كافية لتتمكن من الاستمتاع بالمناظر الطبيعية. إنه فصل الشتاء ومعظم الأشجار عارية، لكن هناك ما يكفي من الأشجار الدائمة الخضرة من مختلف الأنواع ما جعل المناظر أمامها مليئة بالحيوية والجمال.

سألته بخشية وهما يتزلجان: «أهذه الأرض لك؟»

- لا! الحكومة تملكها.

توقف مايسون واتكأ بلطف على عصا التزلج، ثم نظر حوله وهو يبتسم برضى وفرح.

- إنها جميلة. أليس كذلك؟ علي الاعتراف أنني افتقدت للعيش هنا عندما كنت في المدينة.

ظهرت ظلال من الحزن على وجهه، فهو لا يتكلم كثيراً عن حياته في ديترويت، وهو يبدل الموضوع ما إن تذكره مارني به. لا بد أن شيئاً ما حدث هناك... شيئاً سيئاً. مع أن روز ليست من الأشخاص المتطفلين، لكن الفضول سيطر عليها.

- هل عشت في قلب المدينة؟

هز برأسه وأجاب: «عشت في الجهة الشرقية منها عندما كنت شرطياً. وبعد، عندما أصبحت أعمل لحسابي الخاص كتحرٍ، استأجرت شقة على سطح مبنى عال لا يبعد كثيراً عن غريكتون.

- وما الذي جعلك تصمم على الرحيل؟

- أصبت بطلق ناري.

من بين كل الأشياء الغريبة التي توقعت أن يقولها، هذا السبب فاجأها كثيراً بالرغم من أنها لم تعش بمنأى عن مخاطر الطرقات. فكرت أنه كان شرطياً ثم تحرياً خاصاً، ومن المحتمل أنه كان على علاقة مباشرة مع أشخاص أكثر خطورة من أولئك الذين دفعها حظها السيئ لتقابلهم. لكن أن يتعرض مايسون للاصابة بطلق ناري...؟!

تذكرت أنه يحف كتفه من حين لآخر، فسألته: «في كتفك؟»

- أجل.

نبرة صوته الحازمة جعلتها تدرك أن عليها أن تدع الحديث معه عن هذا الأمر جانباً، لكنها سمعت نفسها تقول: «ما الذي حدث معك؟»

نظر مايسون إلى البعيد وكأنه فقد الصبر، لكنه قال: «تم استخدامي من قبل شخص ثري للمحافظة على ابنته. لكن الرجل لم يكن يعلم أنها مدمنة. تبعتها إلى أماكن خطرة في الجهة الشرقية من المدينة، حيث كانت تذهب لشراء ما تحتاجه. وتطورت الأمور إلى الاسوأ».

علمت روز أنه لا يدرك كم تظهر ملامح وجهه من الخيبة واليأس على الرغم من محاولته أن يبقى هادئاً وغير مبالٍ.

- وما الذي حدث لها؟

رفع كتفيه بلا اكتراث، لكن بقيت شفتاه شاحبتين وهو يقول: «ذهبت إلى مركز لإعادة التأهيل في غرب البلاد حيث يذهب كل المشاهير. إنه مكان محاط بالسرية تماماً».

- بالتأكيد، لم يرغب ذلك الثري الذي استخدمك بأن تعرف المزيد من أخباره السيئة.

هز مايسون رأسه.

- وأنت... ما الذي أردته؟

- ماذا تقصدين بقولك؟

- أحببتها. أليس كذلك؟

قال بهدوء: «أجل... أحببتها».

- وهي... هل أحبتك؟

علت ملامح المرارة وجهه، وقال: «هي تحب كل ما هو ممنوع، وترغب في معارضة والدها. لكن في النهاية تبين أنها لم تحبني مطلقاً. إنها مثل والدها تماماً، فوالدها يحب فقط شهرته ومركزه ولا يهتم لعدم تعريض ابنته لأي أذى. سمعت مؤخراً أنها عادت إلى الادمان».

- آسفة، مايسون!

صرف شفقتها بحركة من عصاه، ثم أشار لها ليعاودا التزلج.

- لنتابع التزلج.

بقي صامتاً بعد ذلك، ولم تأخذ روز تصرفه هذا على محمل شخصي. مع ذلك بقيت أفكارها منشغلة وهي تتساءل عن المرأة التي أحبها مايسون وفقدها. تلك المرأة التي تلقى رصاصة في كتفه من أجلها. عندما وصلا إلى منتصف الطريق - أو هذا ما قاله مايسون -

تحسنت مهارة روز في التزلج وتطورت لدرجة أنها سقطت مرة واحدة على الأرض. بما أن الحديث بقي متقطعاً ركزت اهتمامها على المناظر الطبيعية أمامها، فمن النادر أن تحظى بالوقت الكافي لتستمتع بجمال الطبيعة. ومن المؤكد أن لا أحد من الرجال الذين قابلتهم اهتم يوماً لتساقط الثلوج على أغصان الأشجار العارية، أو لاحظ كيف تلمع كأنها حبات من الماس تحت أشعة شمس بعد الظهر. أخذت روز وقتها تماماً الآن للاستمتاع بهذا كله، حتى إنها تنهدت بصوت مسموع.

سألت وهي تشير إلى شجرة ضخمة إلى يمينها: «ألهذه الشجرة اسم؟».

أجاب مايسون بنبرة هادئة: «جو».

شعرت بالفرح لأنه استعاد مزاجه الطيب.

- أمر مضحك.

- إنها سنديانة من الشرق، من مقاطعة ميتشيغن.

وعندما استمرت في التحديق به، تابع: «كانت العمود الفقري في صناعة الخشب في بلادنا في وقت ما، وهذه الشجرة بالذات ربما تبلغ من العمر مئتي سنة. يمكن معرفة ذلك من محيط جذعها الكبير».

راقبته وهو يحاول أن يطوق الجذع بذراعيه، لكنه لم يستطع.

- أحب هذه الشجرة بأغصانها المتشعبة وغير المتساوية، فهنالك جمال مميز في الأشكال غير المتناسقة.

قالت روز ذلك، وتفاجأت هي نفسها من هذا الكلام الشاعري.

- أنت على حق، روزي. أحياناً تبدو الأشياء جميلة بالرغم من عدم تناسقها، فقط هي جميلة بذاتها.

شيء ما في الابتسامة التي تلت كلامه جعل روز تشعر بإحساس لم تعرفه من قبل. لكن قبل أن تتمكن من التعليق على ما قاله استأنف

مايسون التزلج مبتعداً عنها.

عندما وصلا إلى الطريق العام من جديد، استعمل مايسون طرف عصاه ليتمكن من نزع حذائه عن حذاء التزلج.

- سأذهب إلى المقهى لبعض الوقت.

قالت روز وهي تشعر بخيبة الأمل: «إنه يوم عطلتك».

- أحتاج إلى مراجعة بعض الأوراق والأعمال المكتبية.

- آه!

بعد أن قطعت مسافة قصيرة وهي تتزلج ناداها بصوت عال: «أتزلج كل يوم عند الساعة العاشرة، لكي أجدد نشاطي وأوضح أفكاري قبل الذهاب إلى العمل. أرحب بك للانضمام إلي».

لوحت روز له لكنها لم تعلق، فهي لا تخطط للقبول بعرضه، لأنها صممت أن تبقى بعيدة عنه أو عن أي سبب يغذي اهتمامها المفاجئ بالهواء الطلق والطبيعة الساحرة. لكنها في اليوم التالي كانت هناك جاهزة بانتظاره، بالرغم من الألم الذي شعرت به بسبب تمارين اليوم السابق. وهذا ما حدث أيام الثلاثاء والأربعاء، إذ كانت تنتعل حذاء التزلج وتتبع مايسون في الغابات. ما بين الأشجار الباسقة والهواء المنعش اللاذع استمتعت روز - ولأول مرة في حياتها - بطعم الصداقة.

* * *

مر أسبوع، وتبعه أسبوع آخر. تحولت حياة روز إلى روتين عادي، مع ذلك لم تستطع القول إنها شعرت بالملل أو بالرغبة في التنقل كما كان يحدث لها في الماضي. بدأ مايسون يعلمها القراءة، أو بالأحرى يحاول أن يحسن مهارتها المحدودة في هذا المجال. افترض أن عليها أن تشعر بالاحراج، لكنه لم يجعلها تشعر للحظة أنها غبية. ربما لأن مساعدته بدأت بطريقة بريئة. بدا العرض بسيطاً، ولم يحاول أن يلمس

كبرياءها مطلقاً. قال لها مرة بعد أن انتهت من عملها في إحدى الليالي: «مرحباً، روزي! اخترت لك عدداً من الكتب من المكتبة، وأعتقد أنك سوف تستمتعين بها».

رفعت نظرها وهي تستعد لتجده يبتسم لها ابتسامة قاسية، إلا أن ملامح وجهه بدت جدية وهادئة.

- أعلم أنك لا تجيدين القراءة. لدي ابن عم عانى من المشكلة نفسها عندما كان في المدرسة، ونُصح بقراءة هذه الكتب. فكرت في أن نطالعها معاً في وقت ما.

رفعت روز كتفيها ولم تعلق. لكن في الأسابيع التالية راحا يجلسان معاً وراء مكتبه لمدة ساعة قبل البدء بعملهما. لم تشعر بالحماقة وهي تردد الكلمات وراءه أو تكتبها على الورقة. وكمكافأة على مجهودها الكبير، كان مايسون يقرأ لها عدة صفحات من أحد الكتب السميكة لديه. إنه يملك صوتاً رائعاً، قوياً وواثقاً، ما يجعل القصة تنبض بالحياة. إنهما يقرآن الآن قصته المفضلة «آخر الهنود الحمر» التي كتبها جايمس فينمور كوبر.

أرخت روز ذقنها على راحتي يديها وهي تضع مرفقيها على المكتب، وسألته: «هذه الحادثة وقعت في نيويورك. أليس كذلك؟»

- أجل، لكن بريطانيا بنت حصوناً في ميتشيغن أيضاً. هل ذهبت يوماً إلى حصن ماكيناك؟

عندما هزت رأسها بالنفي، قال: «سنذهب إلى هناك في وقت ما».

قال مايسون ذلك ببساطة بنبرة توحي بالصداقة الحقيقية. احتاجت روز إلى كل ما لديها من إرادة وقوة كي لا تفتح فمها مستغربة كالبلهاء. تساءلت متعجبة كيف يمكنه أن يفعل ذلك؟

لديه مقدرة وبراعة في أن يجعلها تبدو مميزة، وهي تعلم أنها ليست كذلك. مع ذلك، عندما يتكلم معها ينظر مباشرة إلى عينيها، وعندما

تتكلم، تعلم أنه يصغي إليها بالفعل. أمضت روز معظم حياتها غير مرئية، فلا ينتبه الآخرون لوجودها إلا عندما يعتقدون أنها تسبب مشكلة ما. كما أنها مجهولة الهوية أيضاً، فهي مجرد رقم في سجلات مؤسسات رعاية الأيتام. لكن مايسون يراها، وهو يجعل الوقت الذي يمضيانه معاً ممتعاً ومريحاً، هذا إذا لم تحسب تسارع دقات قلبها عندما يضع يده بلا قصد منه على كتفها أو عندما يبتسم لها. كما أنها تستمتع برفقته، تماماً كما يحصل أثناء تعلم القراءة وهي مهمة يفترض أن تشعرها بالملل.

مع تحسنها الواضح في القراءة وتصالحها مع ماضيها، شعرت روز أنها غدت أكثر قدرة على تبادل الأحاديث والمناقشة. من جهة أخرى، وبغض النظر عن وسامته التي تجعله شبيهاً بممثلي هوليوود وماضيه المثير وولعه بالموسيقى الرومنسية، يبدو مايسون كموسوعة من المعارف متنقلة، لا سيما عندما يتعلق الأمر بالطبيعة. إنه كريم جداً بالمشاركة في معلوماته، فهو يعرف أنواع الاشجار من لحائها، ويخبرها عن نوع الحيوان الذي مر على الثلج، كما أنه مجنون بحب الطيور. فبين الحين والآخر يقف فجأة فيما هما يتزلجان ويميل برأسه إلى ناحية ما ليصغي إلى زقزقة عصفور أو صفير خافت لمخلوق ذي جناحين. وجدت تلك الصفة محببة جداً، كما أنها معدية. بينما كانا يتزلجان هذا الصباح فكرت بذلك وهما يقطعان طريقاً يبعد قرابة الميل عن المنزل، فقررت أن تفاجئه بمعلوماتها المحدودة.

- أصغِ! أسمعت هذا؟

توقف تماماً أمامها، واستدار لينظر إليها. سألها: «ماذا؟»

انتظرت حتى سمعت الصرخة العالية مجدداً. أشارت نحو غراب أسود كالليل طار من فوق رأسيهما عبر السماء الواسعة.

- إنه غراب. هو يقتات على النفايات والحيوانات الميتة. هذا

النوع من الطيور موجود في كل أنحاء البلاد، ويمكن معرفته من خلال صوته الغريب وطريقة أكله المزعجة.

حاولت أن تبقي ملامحها جدية، لكن ارتجاف شفتيها فضحها.

- ملاحظة ذكية!

رفعت كتفيها، وعلقت: «لست الوحيد الذي يعرف عن الطيور».

- توقعت أن تكوني خبيرة بيمام الصخور.

- يمام الصخور؟

ابتسم مايسون، وعلمت أنها ستضيع في ابتسامته من جديد.

- ربما يُعرف أكثر بالحمام. ديترويت مليئة به. يقال إنه جالب الحظ للمدينة.

كوا كوا! استقر الغراب على رأس شجرة قريبة منهما، وعلا صياحه في البرية الهادئة الباردة.

علقت روز باستياء وهي تشير بعصا التزلج: «الريف لا يختلف كثيراً عن المدينة، فهنا أيضاً يثير هذا الطائر الضجيج».

- هذا صحيح. سمعت أحدهم يقول إننا لو استطعنا ترجمة نداء الطيور، لعلمنا أن معظمها ينشد الأشعار باستثناء الغراب فهو يطلق اللعنات.

زعق الطائر الأسود الكبير بقوة مرة ثانية، فقررت روز أن مايسون على حق.

* * *

سألتها مارني وهما تنظفان الطاولة الكبيرة بعد الانتهاء من العمل في إحدى الليالي: «هل فكرت مرة في البحث عن والديك؟»

رفعت روز كتفيها بلا اكتراث وأجابت: «لا».

لكنها كاذبة في الواقع. ربما أصابها اليأس من إمكانية العثور على والديها، لكنها تعلم أنها مازالت تبحث عنهما باستمرار في كل مكان

جديد تزوره. إنها تحدق في الوجوه الغريبة باحثة عن شيء ما مألوف، أي شيء يعطيها هوية مختلفة عن الاسم الذي أعطتها إياه المؤسسة.

علقت مارني: «لو كنت مكانك لما توقفت عن البحث حتى أجدهما وأعرف لماذا تخليا عني».

قال مايسون من ورائهما: «كفى كلاماً، مارني!»

لكن بالطبع، نبرته الآمرة لم تدفع شقيقته إلى التراجع مطلقاً.

- بإمكانك مساعدتها، مايس.

استدارت لتواجه روز وهي تتابع: «مايسون كالكلاب المعدة لمطاردة اللصوص. بإمكانه إيجاد إبرة في كومة من القش. هل أخبرك أنه عمل لفترة تحرياً خاصاً؟».

- ذكر ذلك لي.

قالت روز ذلك، ثم ألقت لمحة سريعة على رئيسها فوجدته يحدق بتجهم في وجه شقيقته.

- ما زال لديك علاقات في ديترويت مايسون، وكل ما تحتاجه عدة اتصالات هاتفية لتصل إلى طرف القضية الأساسي.

- مارني!

حملت نبرة صوته تحذيراً واضحاً.

- إن كنت ستختبئ في تشينس هاربور يمكنك أن تقوم بعمل مفيد في وقتك الضائع هذا، مثل إيجاد عائلة روزي.

- تباً، مارني! لماذا تحاولين دائماً أن تدفعي الأمور بقوة؟ ربما لا تريد روزي إيجاد عائلتها، وربما لا أريد أنا أن أتذكر.

توقف عن الكلام ليحف كتفه كأنها تؤلمه، وكأن الرصاصة التي تلقاها ما زالت هناك.

- غادرت ديترويت نهائياً لسبب واضح، كما تعلمين. وأنا لست أختبئ هنا. عدت إلى هنا لأنني أردت أن أعيش بين الناس الحقيقيين

الذين يمكنك الوثوق بهم لأنهم يقولون فقط ما يقصدون.

وافقته مارني قائلة: «هذه ميزة رائعة».

لكنها لم تتراجع مطلقاً بسبب سوء طبع أخيها، بل تابعت: «الصدق والنزاهة صفتان قديمتا الطراز لكنهما لا تفقدان رونقهما مطلقاً».

ابتسمت لنفسها، وبدا من الواضح أنها سعيدة بما قالته لأنها أكملت: «هذه الجملة تصلح لأن تكون شعار حملتك».

قال مايسون بصوت كالرعد: «يا إلهي! مارني، أنت لا تتراجعين مطلقاً. أولاً تحاولين إجباري على التدخل في ماضي روزي، والآن أنت تخططين للحملة الانتخابية».

قالت شقيقته بهدوء: «تعتقد دينا سوترلاند رئيسة الحزب الديمقراطي في ميتشيغن أنك الشخص المطلوب للنجاح».

- وكيف تعرفين ما الذي تفكر به دينا سوترلاند؟

رفعت مارني كتفيها، وأجابت: «تحدثت إليها الليلة الماضية بينما كنت منشغلاً بسكب الشراب للزبائن».

تبدلت ملامح وجه مايسون، وأصبحت جامدة كالحجر. قال: «أنا لم أدعُها إلى هنا. أنا صاحب مقهى، ولدي عمل أقوم به، لست...».

أكملت مارني:

- ...موظفاً حكومياً؟

قال مايسون بسخرية: «إنهم مجرد مجموعة من الأوغاد، وأنت تعلمين ذلك. السياسة لعبة، وهي ترتبط باهتمامات معينة وبالمال الذي يستطيعون تأمينه للحملة الانتخابية التي تهدف إلى إعادة انتخاب مرشحهم. حتى الحزب يصبح في المرتبة الثانية بعد المصالح الشخصية. أما الناخبون فانسي أمرهم. هؤلاء لا أهمية لهم إلا يوم الانتخاب، ولا علاقة مطلقاً لذلك كله بمساعدة الناس».

قالت مارني بإصرار: «لكن يجب أن يكون كذلك. هذا هو نوع التشريع الذي يجب أن تسعى إليه. ستكون مشرعاً بكل معنى الكلمة، مايسون. لن تكون مجرد سياسي».

- هل يمكنك أن تتوقفي الآن؟ قلت لك كفاك دفعاً للآخرين.

- حسناً! على أحدهم أن يدفعك قليلاً.

قالت ذلك بنبرة حادة، ثم استدارت لتقول لروز: «وأنت أيضاً يجب دفعك».

عندما فشلت في جر روز نحو الطعم، تابعت مارني: «لابد أنك ستنتخبينه. أليس كذلك، روزي؟»

آه، لا! لا يمكن أن تجرها إلى مثل هذا الموضوع.

- أنا لست مسجلة كناخبة. فلم أمكث في مكان ما المدة الكافية لأفكر في الأمر.

- أرأيت، مايس؟ يمكنك أن تكون نصيراً لأشخاص أمثال روزي... للناس الذين لا صوت لهم في مجتمعنا.

تمتم مايسون شتيمة، ثم رمى المنشفة التي كان يستعملها لمسح الطاولة أمامه، وسار مبتعداً نحو مكتبه. بعد أن سُمع صوت صفق الباب بقوة، استدارت مارني نحو روز وغمزتها.

قالت: «سيبدل رأيه، ويوافق. أنا متأكدة أنه سيوافق على مساعدتك أيضاً».

قالت روز وهي تتنهد بقوة: «لا أريد مساعدته، ولا أريد إيجاد أي شخص».

لم تترك المجال لمارني كي تجيب على ما قالته، بل خطفت الممسحة والدلو وغادرت إلى المطبخ، مفضلة البلاط الوسخ وإهانات بارغن غير الخبيثة على مضايقة مارني المتعمدة.

* * *

في تلك الليلة، فكرت روز بكل ما قالته مارني. بقيت مستيقظة على الفراش المتكتل الموضوع فوق الأريكة تراقب أنوار المنارة في السماء الداكنة، وتتساءل ما الذي ستقوله إن وجدت حقاً والدتها.

أتتذكرينني؟ ما الذي كنت تفعلينه في السنوات العشرين الماضية؟ هل اشتقت إلي؟ أما السؤال الأهم الذي يحرق فؤادها فهو: لماذا لم تريديني في حياتك؟

٦ ــ لحظة انسجام

بدت السماء مكفهرة فيما رقائق الثلج تتساقط، لكن مايسون طرق باب روز صباح يوم الأحد الأخير من شهر شباط ليرى إن كانت ترغب في الذهاب للتزلج. وافقت روز بشوق وحماس، ففكرة الجلوس في شقتها طوال النهار حيث لا جهاز تلفزيون ولا راديو ليست فكرة جذابة.

بعد مرور ساعة عادا، لأن الثلج المنهمر قضى على كل أمل لهما في قضاء الوقت في الهواء الطلق. راح مايسون يتكلم باقتضاب وإيجاز طوال الرحلة، لهذا شعرت روز بالدهشة عندما وصلا إلى باحة منزله ودعاها للدخول لشرب الشوكولا الساخن. كادت ترفض دعوته، لكن بدت لها شقتها فارغة وموحشة بالمقارنة مع المنارة بأجوائها المريحة.

ما إن وضعا جانباً عدة التزلج، حتى جلست على كرسي في مطبخه وأخذت تراقبه وهو يعد الشراب بالطريقة الصحيحة، الطريقة القديمة التي تحتاج إلى الصبر.

أحضر مايسون قدراً صغيرة من إحدى الخزائن، وسخن شراب الشوكولا على حرارة معتدلة. وبعد البحث في خزانة أخرى، أحضر كوبين كبيرين وكيساً من الحلوى الجاهزة. خطفت روز ملء قبضتها من المقرمشات، وبدأت بالتهامها بينما راح هو يحرك الحليب.

- هل أنت جائعة؟

استدار ما إن قال ذلك، فتوقفت روز عن المضغ وهزت رأسها نفياً. قال بنعومة: «كاذبة».

www.elromancia.com

سار باتجاه البراد وهو يتحرك برشاقة. بالطبع، رجل يعيش بمفرده عليه أن يعرف كيف يجيد العمل في المطبخ. أخرج وعاء من البلاستيك ونزع الغطاء عنه ثم شم رائحة محتوياته.

بعدئذٍ قال: «ما زالت المعكرونة جيدة، حضرتها للغداء منذ عدة أيام».

رمقها بنظرة استفهام عندما رفعت حاجبيها.

- ليس عليك أن تطعمني.

- هناك ما يكفي لشخصين، فأنا عادة أعد الكثير من الطعام. كما أن أمي تقول إن من الوقاحة أن يأكل المرء بمفرده أمام الناس، وأنا حقاً أرغب في تناول الطعام الآن روزي، لكنني لا أريد أن أبدو وقحاً.

- حسناً! موافقة. لا سيما عندما تتحدث بهذه الطريقة.

عندما بدأ بتسخين المعكرونة فوق الموقد وليس في المايكروويف سكبت روز الشوكولا، وأضافت قبضة من المقرمشات إلى كوبها. رشفت القليل من الشراب عندما برد قليلاً فشعرت بشفتها العليا دبقة. استدار مايسون في اللحظة التي كانت تمرر لسانها فوق شفتها. التمع شيء ما في عينيه، واستمر ذلك اللمعان عندما جلس قربها إلى الطاولة. رشف رشفة من شرابه الحار وحدق بها من فوق حافة كوبه للحظة، لكنها بدت كافية لتجعلها تتساءل ما الذي يراه فيها. هل يعتقد أن شعري قصير جداً؟ أم أنه صبياني وغير مصفف بطريقة جميلة؟

كرهت نفسها لأنها تهتم برأيه في مظهرها، لكن هذا لم يبدل حقيقة أنها تهتم فعلاً. أخيراً قال: «أظن أن المعكرونة أصبحت جاهزة. يمكننا تناولها الآن».

ابتسمت روز وقالت: «لِمَ لا؟»

وضع جبنة البارميزان على سطح المعكرونة، وسكب صحنين لهما

وضعهما على الطاولة الصغيرة. تناولا الطعام بصمت لعدة لحظات. بعد ذلك وضع شوكته جانباً ليعطيها كامل انتباهه.

- فكرت بما قالته مارني عن مساعدتك في البحث عن والديك. هي على حق. صحيح أنها مزعجة، لكنها على حق. يمكنني القيام ببعض الاتصالات الهاتفية والتحري عن الموضوع، هذا إذا كنت تريدين أن تجديهما.

- لا أريد!

أجابت روز بصورة آلية، وكأن رفضها هو طريقة فعالة للدفاع عن نفسها، لكنها لم تنجح في إخفاء ألمها، والآن هي تدرك ذلك بوضوح. هز مايسون رأسه ومدّ يده ليمسك بشوكته، لكنها ألقت يدها فوق يده قبل أن يحظى بفرصة لإمساكها.

- بل أريد. أريد أن أبحث عنهما.

خرجت الكلمات من فمها همساً بسرعة، ثم نظرت بعيداً بعد أن تفوهت بها. لسبب ما لم تستطع أن تفهمه، شعرت بوخز الدموع في عينيها. أدار مايسون يده تحت يدها، وأمسك بأصابعها، قال ببساطة: «لا بأس بذلك».

- لكنهما لم يريداني.

قالت تلك الكلمات، وشعرت بالرعب منها. هي تكره هذا الضعف الذي تمثله تلك الكلمات.

- أنا أريدك، روزي.

بدا مايسون متفاجئاً بعد أن قال ذلك، لكنه لم يتراجع عن قوله. إنه رئيسها وهي عاملة لديه. هو مالك وهي مستأجرة. لديه جذور عميقة وممتدة تماماً كالأشجار التي تحيط بالشاطئ، وهي أشبه بالأوراق المرمية على الأرض، لا جذور لها على الإطلاق. من الخطأ جمع العمل مع العلاقات العاطفية. هو يحفظ هذه القاعدة عن ظهر قلب.

- أنت جميلة، روزي.

- لا! لست جميلة.

سألها بنعومة: «أتقولين إنني كاذب؟».

وقف وهو لا يزال يمسك بيدها، وشدها لتقف على قدميها.

قالت روز وهي تبتسم لتبقي الجو بينهما هادئاً: «أعتقد أن الطقس البارد أثر على رأسك».

لم يبتسم لها، بل قال بجدية: «أعتقد أنك تخافين أن أعانقك من جديد».

- وهل ستفعل؟

تقدم نحوها، ومدّ يده ليمسك بيدها الأخرى ويضعها حول عنقه. ما إن أصبحت يداه خاليتين حتى أحاط بهما وجهها بحنان.

- من الأفضل أن تصدقي ذلك.

فكرت روز أنه يجدر بها أن تقدم له أي عذر وتغادر، لكنها بدلاً من ذلك مالت نحوه. من المحتمل أن ما يجري معها في هذه الفترة هو مجرد خيال، لكن من الرائع أن تشعر أن هذا هو المكان وأن مايسون هو ذلك الشخص...

مرت بضع لحظات وهما متقاربان، لكنهما لم يبتعدا عن بعضهما. روز لا تعرف مطلقاً بأساليب الاغواء بين الرجل والمرأة، لكنها قررت أن تترك الأمور تجري بصورة طبيعية.

- الجو حار هنا.

انتظرت لحظة قبل أن تخلع سترتها لتبقى مرتدية القميص القطنية التي أعطاها إياها. إنها قميص فضفاضة ليس فيها شيء من الجاذبية.

أجابها مايسون: «أجل. حار جداً».

بعد أن قال ذلك، سحب الكنزة التي يرتديها من فوق رأسه. تحتها كان يرتدي قميصاً قطنية قصيرة الكمين مثل تلك التي قدمها لها قبل

البدء بدروس التزلج. بعدئذٍ ساد الصمت بينهما لبرهة، إلى أن قطعت روز الصمت قائلة: «ألن تحضر بعض الحلوى. مايسون؟»

- بماذا ترغبين؟

فكرت روز أن بإمكانهما التقاذف بحذر بالكلام ذهاباً وإياباً بهذه الطريقة في الدقائق القليلة التالية. لكن...

- حسناً! أعجبني ذلك العناق، يمكننا أن نحاول مرة أخرى ونرى إلى أين سنصل.

لم تنتظره ليفكر بالأمر بل عانقته. سمحت ليديها بالتسلل فوق قميصه فشعرت بحرارة بشرته تحتها.

تنهدت روز بحرارة: «آه!»

فتنهد مايسون بدوره.

أنفاسه الحارة جعلتها ترتجف من الشوق، شعرت روز بالسعادة لمعرفتها أنها تستطيع التأثير به إلى هذا الحد، لكنها لم تشكِ للحظة واحدة أن ما يحدث بينهما ليس جنوناً.

فكر مايسون، لا بد أنه فقد عقله. لم يرغب في عناق روزي عندما طلب منها الدخول إلى شقته. لكن يبدو أن جسده لا يهتم مطلقاً لما خطط له. تراجع إلى الوراء محاولاً أن يستعيد توازنه، فحدقت روزي به بعينين واسعتين وحذرتين. رفع يده، ومرر أصابعه عبر شعرها الأجعد القصير.

قالت بنعومة:

- إنه عادة... طويل جداً.

حاول مايسون أن يتصوره، قال بصوت منخفض: «إلى أين يصل؟»

رفعت إصبعها لتضعه عند منتصف الجزء الأعلى من ذراعها، وقالت: «كان جميلاً جداً».

- إنه جميل الآن.

ابتسمت له ابتسامة خجولة عصرت قلبه وهي تقول: «لا، إنه عملي الآن».

- حسناً! لكنني أحبه هكذا.

- أحقاً؟

أجاب: «بالطبع! إنه يشبه شعر ميغ رايان، وأنا دائماً أحمل الكثير من الاعجاب لها».

وعانقها من جديد. في العناق السابق ترك لها الحرية، أما الآن فهو مصمم على أن يظهر لها أنها جميلة ومحبوبة وأنه يعشقها.

لم يقابل مايسون في حياته امرأة تتجاوب معه لمجرد لمسة بسيطة، ما جعل خياله يطير به إلى عالم جديد من الشوق.

سألها وهو يطوق خصرها بيديه: «أيعجبك هذا؟»

لم تجبه، لكن كل ما استطاعت القيام به هو أن تهز رأسها بتوتر.

تمتم هامساً: «لِمَ لا تبقين هنا؟»

لم تحظَ روزي بالفرصة لتجيب، إذ فتح الباب بقوة ودخلت مارني كالعاصفة.

قالت مارني وهي تستدير لتدخل إلى المطبخ: «هل هناك أحد ما في المنزل؟»

أبعد مايسون وجهه قليلاً عن روزي.

كل ما استطاعت مارني قوله: «آه، يا إلهي!»

حاولت روزي أن تبتعد، لكن مايسون منعها. أبقاها في دائرة ذراعيه، إلا أن وجهه بدا متقداً من الغضب والذنب معاً. هو ليس بحاجة لينظر إلى مارني التي ستظهر على وجهها بلا شك ابتسامة الهرة التي ابتلعت العصفور ليعلم أنها تستمتع بما تراه.

قالت: «يبدو أنني قاطعت شيئاً ما».

جالت بعينيها على الكوبين الفارغين وعلى سترة روز المرمية على

أحد الكراسي قبل أن تنظر من جديد إلى وجه مايسون. قال مايسون بصوت غاضب مليء بالتوتر: «أجل، وربما في المرة المقبلة ستفكرين بالاتصال أولاً».

دخل صهره الذي يدعو له دائماً بالخير.

- آه! يبدو أننا جئنا في وقت غير مناسب. تعالي مارني. سنأتي في مرة أخرى.

تراجع هال نحو الباب، لكن مارني أمسكت بيده وشدته ليعود أدراجه ويصبح من جديد داخل المطبخ.

- نحن هنا الآن، ولحظة الانسجام بينهما دُمرت. أليس كذلك، مايسون؟

ابتسمت بمكر قبل أن تتابع: «وهكذا يمكننا البقاء لنخبرهما لماذا أتينا».

تنهد مايسون، وأخذ يصلي في أعماقه كي يتحلى بالصبر.

سأل هال: «ألا تستطيع أن تفعل شيئاً بشأنها؟»

هز هال رأسه، لكنه ابتسم عندما أجاب: «أنت تعرف أختك أكثر مني».

بالطبع! هو يعرفها جيداً، وها هو يخطط ليجعلها تدفع ثمن فعلتها هذه. لكنها على حق، لحظة الانسجام مع روزي دمرت وتحولت إلى شظايا، مع أنه لا يزال يشعر بشوق كبير إلى معانقتها.

قال من بين أسنانه المطبقة: «هل يمكنكما على الأقل أن تتركانا بمفردنا لدقيقة فقط فتذهبان لانتظارنا في غرفة الجلوس؟»

على الأقل وافقت مارني على المغادرة. عندما أصبحا بمفردهما في المطبخ مرر مايسون يده برقة على رأس روزي، وتنهد بقوة.

- آسف لما حدث.

قالت: «توقيت أختك بمنتهى السوء».

سألها: «هل أنت نادمة على ما حدث؟»

- لا! وأنت؟

- لا.

- لكنك تعتقد أن ما حدث ليس بالعمل الذكي. فهذا...

ولوحت بيدها بينهما.

- ربما لا. فأنا فعلاً معجب بك، روزي.

ابتسمت له، لكنه لم يرها مطلقاً ضعيفة وحائرة هكذا من قبل.

- لكن هناك «غير أن» أليس كذلك؟

- أخشى قول ذلك. أنا فعلاً أشعر بالانجذاب نحوك، ومن الحماقة نكران ذلك بعد ما حدث بيننا الآن. لكن هناك الكثير من الأمور غير المستقرة في حياتك الآن، وأنا لا أريد أن أستغلك أو أستغل هذا الوضع.

- فهمت!

- كل ما في الأمر أنني أفكر في ما جرى...

توقف عن الكلام ليشير بيده، وهو يجهل بالتحديد كيف سيعرّف ما جرى، لذا تابع قائلاً: «... هذا ليس بالعمل الصائب لأي منا إذا كنت سترحلين».

قالت توافقه الرأي: «هذه هي خطتي منذ البداية».

أما زالت كذلك؟ انتظرت أن يسألها، لكنه لم يفعل، وهي لم تدرِ ما سيكون عليه جوابها إن فعل.

- أنا أسبب جلبة مما جرى. أليس كذلك؟ كل ما في الأمر أنني أحاول أن أكون لطيفاً.

وهو رجل لطيف حقاً، بل مثالي. مع ذلك ما زالت روز تشعر بالألم، وبأنها رُفضت. هذا الألم القوي الحاد يفاجئها، فبعد أن هجرتها أمها الطبيعية، وأبعدها عدد من العائلات التي تبنتها، ورميت

بين براثن الحياة من قبل الدولة عندما بلغت سن الرشد، ماذا بإمكان أي إنسان أن يفعل ليؤذيها؟ لكن قلبها المليء بتلك المآسي لم يتحطم مرة بسبب رجل ما، أما الآن فبدا كأنه يتمزق إلى أشلاء.

- فقط لمعلوماتك، أنا لست من النساء اللواتي يرضين بإقامة علاقات عابرة، ولا همّ كيف بدا الأمر لك منذ دقائق.

- أعلم ذلك روزي، وأنا أيضاً لست كذلك. لا أحد منا من النوع الذي يتخذ الحياة ببساطة ويرضى بالأمور كيفما تيسر الحال. لهذا السبب أعتقد أننا بحاجة إلى التراجع عما حدث، لنتمكن من رؤية الأشياء بالمنظور الصحيح.

- المنظور الصحيح؟

قالت الكلمة الأولى ببطء وكسل كأنها تحاول التفكير كيف تكتب كلمة الم..نظو..ر.

- هذه الكلمة تعني...

قاطعته بحدة: «أعرف ما الذي تعنيه، مايسون».

محاولته تعليمها أضاءت بقوة على الهوة السحيقة ما بين وضعيهما الاجتماعيين والفرق الواضح ما بين حياتيهما. رجل مثل مايسون ما كان لينظر نظرة ثانية إليها من قبل. هي متأكدة من أنه لم يكن ليهتم لامرأة تشبهها، امرأة شبه أمية لا تعرف اسمها الحقيقي ولا تاريخ ميلادها. لا بد أن هذا هو المنظور الذي يتحدث عنه والذي يعني رؤية الأشياء بحسب موقعها الصحيح والدقيق في الحياة.

رفعت كوبها وشربت ما تبقى منه برشفة كبيرة، لكن شراب الشوكولا لم يبدُ كافياً ليخفف من هذا الألم القوي المفاجئ الذي شعرت به في حنجرتها.

- من المؤسف أنك أضعت وقتك على فتاة مثلي.

- لماذا تقولين ذلك، روزي؟

رفعت روز كتفيها وأجابت: «فقط لمجرد الفضول، أخبرني منذ متى لم تقم أية علاقة جسدية مع امرأة؟»

- ما علاقة ذلك بما يجري بيننا؟

سألته من جديد: «منذ متى؟»

- منذ ستة.

- آه! بسبب المرأة التي تلقيت رصاصة لأجلها. لا عجب أنك متحفظ هكذا.

إنها ليست عادلة في ما تقوله، لكن من الصعب أن تكون عملية الدفاع عن النفس عادلة ومنصفة. تابعت: «مع ذلك أرى أنها مدة طويلة بالنسبة إلى رجل مثلك. أعتقد أنني أفهم الآن لماذا وجدتني جميلة».

- أنت تعلمين أن القضية ليست كذلك.

لمع الغضب الحقيقي في عينيه وهو يتابع: «التقشف ليس المشكلة هنا، وما يحدث بيننا بعيد عن العلاقات العابرة».

بدا متفاجئاً من نفسه، ولم يعجبه ما قاله.

نادت مارني من الغرفة الأخرى: «مايسون... روزي... هل ستأتيان؟»

أغمض مايسون عينيه، وشعرت روز أنه يصلي من أجل الحفاظ على صبره. علمت أنها على وشك أن تفقد هدوءها هي أيضاً. قالت: «لنذهب ونرَ ما الذي تريد مارني أن تخبرنا به بكل هذا الشوق والاندفاع».

- لكن ما بيننا لم ينتهِ.

سيطر عليها الاحساس القديم بضرورة الدفاع عن النفس. عليها أن ترفض وتبتعد قبل أن يتم رفضها وإبعادها.

- ليس هناك «ما بيننا»، مايسون!

بالطبع كلاهما يعلمان أن هذا مجرد كذب.

وقف مايسون في المطبخ لعدة لحظات ليتمكن من استجماع هدوئه وتحفظه الدائمين، قبل أن يتبعها إلى غرفة الجلوس. لا بد أنه جرح مشاعر روزي بكلماته الحمقاء، هو يعلم ذلك الآن، كما يدرك أيضاً أن القلب الذي كان يحاول حمايته بتصميم قوي عن طريق التراجع والحصول على منظور صحيح للأمور ليس قلب روزي... بل قلبه هو.

* * *

وجد مارني وهال جالسين على الأريكة الواسعة، أما روزي فواقفة تنظر من خلال إحدى النوافذ الطويلة التي تواجه البحيرة. قال مايسون ما إن أصبح داخل الغرفة: «إذاً، ما هو الأمر الهام الذي جعلك بحاجة إلى اقتحام منزلي بعد ظهر نهار الأحد؟»

رمته مارني بابتسامة مشرقة بدت كالتوأم تماماً للابتسامة التي ظهرت على وجه زوجها.

- نحن ننتظر طفلاً.

عانقت مارني زوجها بعد أن قالت ذلك، ثم قفزت لتضم مايسون إليها.

- أردنا أن تكونا أول من يعلم بذلك.

ضمها مايسون إليه بقوة، وقال: «آه، مارني!»

طبع قبلة على خدها، ثم تابع: «لكن لا تعتقدي أن هذا سيخرجك من المأزق. ستدفعين ثمن اقتحام منزلي من دون أن تتصلي أو على الأقل تطرقي الباب قبل الدخول».

أجابت: «أحبك أنا أيضاً، مايسون».

راقبت روز المشهد أمامها بدهشة، وهي تتأمل الفرحة العارمة على وجه مارني، والحماس على وجه هال والسعادة على وجه مايسون.

طفل سيأتي إلى هذا العالم، وقد بدأ الترحيب به للتو من قبل هذه العائلة. لقد أحبوه منذ الآن، وبدأوا بالتعاطف والتمني له. آه! بالطبع، هكذا يجب أن تجري الأمور. مع ذلك، بدا لها ما يحدث رائعاً جداً ولا يمكن تصديقه.

هذا المشهد العائلي جعلها تزداد عزماً وإرادة، فهي تريد أن تجد أمها. تريد أن تواجه المرأة التي أنجبتها ثم هجرتها. هي بحاجة إلى أجوبة؛ ما الذي جعلني غير مرغوبة وغير محبوبة؟ ما الذي جعل من السهولة التخلي عني واستبدالي؟

قطعت روز الغرفة لتصل إلى مارني تاركة المرأة تضمها بين ذراعيها في حين كان مايسون وهال يتصافحان.

- تهاني القلبية. أنا سعيدة لأجلك.

أجابت مارني عن قصد: «وأنا سعيدة لأجلك أيضاً».

- ليس هناك... أعني لسنا... كل ما في الأمر أننا تمادينا للحظة.

تراقصت عينا مارني بالمكر، ثم ربتت على معدتها التي ما زالت منبسطة وقالت: «هذا ما حدث معنا أنا وهال».

* * *

في وقت متأخر من تلك الليلة، قام مايسون بنزهة عبر الشاطئ. كان القمر بدراً في السماء الصافية التي لا تعكر صفاءها أية غيمة، فأضاء نوره الثلج المترامي على الشاطئ الذي لا يبتعد كثيراً عن المنارة. شعر مايسون بالقلق والحيرة وهو يستعيد أحداث بعد الظهر في ذهنه. لم يقصد مطلقاً أن يسبب الأذى لروزي، لكنه متأكد أنه فعل ذلك غير مكترث لما أظهرته من عدم مبالاة وقوة. اعتقدت أنها قوية لكن ضعفها ورقتها ظهرا له بوضوح. ربما لهذا السبب انجذب إليها. لمس كتفه، فالألم الباقي يذكره دائماً بما حدث في المرة الأخيرة التي

شعر فيها مايسون بالرغبة في مساعدة امرأة واقعة في مأزق. يومها فقد المنظور الصحيح فعلاً، واندفع بكل ما لديه من عواطف، وكاد يدفع حياته ثمناً لعاطفته. توقف مايسون ليرفس الثلج بمقدمة حذائه الثقيل... المرأة التي أحبها انحدرت بشدة نحو وسائل أكثر خطورة أثناء فترة إعادة التأهيل، وحصلت على ممول أكثر دهاء، ولم تجب مرة على اتصالاته الهاتفية. أخيراً لم يعد هناك من حاجة له طالما أن والدها علم بعلاقتهما. فإميليا تستمتع بحياتها، ولا يهمها إلى أين ستوصلها تلك اللذات الآنية. لكن مايسون ظل على اهتمامه بها بمنأى عن طلب والدها. توقع أن يراه غاضباً ومصدوماً بسبب مسلك ابنته السيء، لكن ذلك لم يحصل. في الواقع ظهرت تلك المشاعر فعلاً لكن فقط لأن برتراند لم يعد يريد مايسون في هذه القضية بعد الآن. لم يعد يريده أن يتدخل في شؤون عائلته. بدا من الواضح أن إدمان ابنته أمر لا يثير قلقه ما دامت تحصل على ما تريده من أشخاص مشهورين ويجيدون الاختباء بدلاً من الأشخاص القذرين الذين ينتشرون في الأحياء المظلمة من المدينة.

لقد آمن بالسيناتور برتراند لدرجة أنه شارك في حملته الانتخابية السابقة، والآن هو يعلم أن السيناتور مجرد مخادع وكاذب. إن حملته ضد المخدرات هي خدعة إعلامية، وقد نجح فعلاً، لا سيما مع الناخبين البسطاء. لكنه في الحقيقة لا يهتم مطلقاً بالأرواح الضعيفة التي تجد نفسها منغمسة في هذه الرذيلة. حتى إدمان ابنته لم يسبب له أي إزعاج ما دام الآخرون لا يعرفون به، وما دام بعيداً عن وسائل الإعلام. بالطبع، السيناتور برتراند عوض على مايسون بشكل جيد. دفع عنه فواتير المستشفى، وأرسل له شيكاً مصرفياً كبيراً. قال له بواسطة المال: «اذهب بعيداً، وابق صامتاً!»

يومها شعر مايسون باضطراب قوي منعه من القيام بأي عمل. عاد

إلى تشينس هاربور، وأية فكرة راودته عن السياسة ماتت قبل أن تولد. أما النساء فبقي بعيداً عنهن حتى جاءت روزي...

* * *

انتهى شهر شباط تاركاً تشينس هاربور مجمدة ومغطاة بالثلج الأبيض. مع أن فصل الربيع بات قريباً، إلا أن أحداً لم يشعر بذلك بسبب الحرارة المتدنية واستمرار تساقط الثلوج.

تمكنت روز من ادخار مئة دولار بعد أن دفعت الإيجار واشترت لمارني هدية لتشكرها على الثياب ومعدات المنزل التي أعطتها إياها. مع مرور الأسابيع أصبحت هي ومارني صديقتين مقربتين. هذه هي المرة الأولى التي تحظى فيها روز بصديقة، فقد كان لديها أصدقاء من الرجال عبر السنين، ربما بسبب هيئتها التي تشبه الصبي، أو ربما لأنها تشعر بحرية أكبر برفقة الشبان. وجدت من السهل عليها أن تتحدث إلى مارني وأن تثق بها إلا عندما يتعلق الأمر بمايسون، فروز لم تذكره مرة أمام مارني، وراحت تتظاهر باللامبالاة في كل مرة تتحدث عنه شقيقته.

وهذا ما تفعله الآن وهي تحشر روز وراء الطاولة الكبيرة.

- ما الذي يحدث مع أخي مؤخراً؟ إنه شديد... لا أدري. كل ما في الأمر أنه ليس هو نفسه. يبدو مشتتاً جداً، كما أنه أخطأ في إعطائي ثلاث طلبيات للشراب في الساعتين الأخيرتين. هل أنتما متشاجران أم أن هناك شيئاً ما؟

- شجار؟ لماذا سنتشاجر؟

وضعت مارني يديها على وركيها، ورفعت حاجبيها بكل ثقة وهي تقول: «عزيزتي! الرجال والنساء يجدون أشياء يتشاجرون بشأنها منذ عهد آدم وحواء وتلك الحادثة المشؤومة المتعلقة بشجرة التفاح».

قرع بارغن على جرس الطلبيات منقذاً روز من الاستمرار في ذلك

النقاش الذي يسبب لها الازعاج.

هذا ما اعتقدته، لكن ما إن عادت بعد تسليم العشاء لاثنين من الكشافة، حتى أدركت أن مارني لم تتخلّ عما تفكر به بل جلست تراقب أخيها وهي تشرب كوباً من الشاي المثلج. كان مايسون يلعب البلياردو مع هال. نظر نحوهما وتابع اللعب.

نظرت بلمحة سريعة نحو روز، وقالت: «انظري! هناك ما يزعجه. ذلك واضح تماماً».

التقطت روز منشفة رطبة ومسحت الطاولة أمامها، مع أنها فعلت ذلك مرتين من قبل.

- لا أعرف ماذا تقصدين بكلامك.

- آه... هيا! كنتما متعانقين في ذلك اليوم في مطبخه. والآن ها هو مشتت الذهن ونكد المزاج. في المرة الأخيرة التي كان مايسون فيها بمثل هذا القلق والضيق، انتهى به الأمر...

توقفت مارني عن الكلام فيما تورد وجهها، فأكملت روز عنها: «مصاباً بطلق ناري».

قالت مارني بجدية: «كنت سأقول: مغرماً!»

- بطريقة ما لا أعتقد أن مايسون يجيد التفريق بين الأمرين. كيف كانت تبدو؟

- من؟

- المرأة في ديترويت.

- إميليا برتراند؟

تساءلت روز، أتراها امرأة جميلة؟ بعد ذلك أدركت أنها تفوهت بالسؤال بصوت عال، لأن مارني أجابت: «من الصور التي رأيتها لها، أجل إنها جميلة. والدها سيناتور في البرلمان الأميركي، ما يعني أنها تنتمي إلى مستوى رفيع في المجتمع».

إذاً، هذا هو الشخص الهام الذي استخدم مايسون ليبقي ابنته بعيداً عن المشاكل.

تابعت مارني قائلة: «هي تساعد والدها في حملاته الانتخابية، حتى عندما يلقي الخطب ضد الادمان ويطالب بتشديد العقاب على الممولين والمدمنين».

إن كره مايسون الشديد للسياسة أصبح له معنى منطقي الآن.

قالت مارني وهي تهز رأسها: «هذا أمر مؤسف فعلاً، لكنها جذابة، وأنا متأكدة أنها تؤمن له الكثير من أصوات الرجال. لقد تمكنت من خداع مايسون».

من الصعب تخيل مايسون يجري وراء امرأة وهو مولع بها لدرجة تجعله لا يرى بوضوح، لا سيما أن هذه المرأة هي حقل عمله بالتحديد. عاشت روز للمرة الأولى تجربة الاحساس بالغيرة، إلا أنها أبعدتها من ذهنها على الفور قائلة لنفسها إنه مجرد شعور بالحسد. قالت لنفسها إن الأمر لا يتعلق مطلقاً بمايسون. كل ما في الأمر أن هذه العاطفة جديدة عليها.

٧ ــ موعد غرامي

مر أسبوعان طويلان جداً تجنبت خلالهما روز البقاء بمفردها مع مايسون، وقام هو بتسهيل الأمر عليها، فلم يذهبا للتزلج عند الصباح ثانية. في الأسبوع الأول بعد أن تعانقا في مطبخه وجدا الأعذار لعدم الذهاب، بعد ذلك ساعدهما الطقس بدفئه إذ جعل التزلج أمراً صعباً بعد أن ذاب الثلج في الممرات. لكن ما إن دخلت روز المقهى قبل البدء بعملها هذا المساء، لوح لها مايسون من مكانه المعتاد وراء الطاولة، ولم يرفع نظره عنها.

ما إن سارت نحوه حتى ابتسم، فشعرت روز بدقات قلبها الخائن تتسارع. يا إلهي! لماذا يبدو هذا الرجل بمثل هذه الوسامة والسحر؟

ما إن وصلت قربه حتى سألته بلا اهتمام: «ما الأمر؟»

- أعتقد أنني وجدت طرف الخيط.

قطبت جبينها، وسألته: «طرف الخيط؟»

- بالنسبة إلى أمك. أنت ما زلت راغبة في العثور عليها. أليس كذلك؟

هزّت رأسها بقوة وهي غير قادرة على استيعاب تلك العواطف المتناقضة التي سيطرت عليها فجأة. شعرت كأنها لم تعد تستطيع الرؤية جيداً بسبب الأمرين معاً، الأول هو أنه بدأ البحث عن نقطة للبداية في حل غموض حياتها السابقة، الثاني هو أنه يبحث في الأمر أصلاً. افترضت روز أنه نسي أمرها تماماً.

- أكنت تبحث عنها؟

- قلت لك إنني سأفعل.

- لكن كان ذلك...

نظرت حولها، ومع أنه لم يكن هناك أحد بالقرب منهما، أخفضت صوتها قبل أن تتابع: «قبل...».

- أنا أحافظ على وعودي، روزي. تعالي إلى المكتب لنتمكن من الحديث على انفراد.

تبعته روز وهي تشعر بدوار خفيف. بالرغم من أنها لم تشأ أن تعترف بالأمر إلا أنها شعرت بالإثارة والحماسة. في اللحظة التي أغلق الباب وراءهما سألته: «أخبرني! ما هو طرف الخيط؟»

سار مايسون، فوقف وراء مكتبه ثم قلب ببعض الأوراق.

- اتصلت ببعض أصدقائي القدامى في قسم التحريات في شرطة ديترويت وببعض الشبان الذين أعرفهم من الوكالة المستقلة للعائلات التي تهتم برعاية الأطفال الأيتام.

أخذت روز نفساً عميقاً وزفرته ببطء شديد. قالت لنفسها: لا تدعي الآمال تسيطر عليكِ. لكن قلبها اضطرب وكأنها تركض في سباق طويل. اللامبالاة هي درعها الواقي منذ سنين عديدة، أما الآن فهي تشعر أنها ضعيفة ومعرضة لأي هجوم.

- أحد أصدقائي في الوكالة بحث في التقارير منذ اليوم الأول الذي وجدوك فيه. قال إن امرأة تعيش في المنطقة اتصلت بالشرطة عندما رأتك. حصلتُ على اسم المرأة وعلى رقم هاتفها. إن كانت لا تزال في المنطقة فربما سترغب في إخباري أشياء لم تقلها للشرطة.

- آه!

اعترف مايسون: «إنها رحلة طويلة وعمل شاق جداً، لكنني بدأت للتو».

استدار حول المكتب ليضغط بحركة تعاطف ودعم على ذراعها

وهو يقول: «سنجدها روزي».

شبكت روز ذراعيها فوق صدرها، فقد شعرت بالدفء من لمسته، إلا أنها شعرت بارتجافة من البرد في الوقت نفسه. تخبطت المشاعر في أعماقها... أفكار وعواطف لا تستطيع شرحها أو حتى فهمها.

سألها: «هل أنت بخير؟»

رفعت كتفيها، وأجابت: «بالطبع».

لكنها اعترفت بعد لحظات: «أحاول إقناع نفسي دائماً أنني لا أهتم للبحث عن أمي وأبي، لكن هذا كل ما أفكر به مؤخراً».

سألها مايسون وهو يرفع حاجبيه: «أهذا كل ما تفكرين به؟»

قالت تتحداه: «ماذا هناك أيضاً لأفكر به؟»

نظر بعيداً، وظنت أنه لن يجيبها. لكن بعد لحظة نظر مباشرة إلى عينيها فرأت شيئاً ما في عينيه جعلها تحبس أنفاسها.

- ما أفكر به أنا أيضاً... أنت تؤثرين بي كثيراً، روزي.

قال ذلك، ثم تنهد: «أنا لست متأكداً أنني أحب أن أفكر بهذه الطريقة».

- أية طريقة تعني؟

- أفكر أنني سأصاب بالجنون إن لم أكن معك.

آه... صحيح! إنهما في الخندق ذاته في هذا الأمر.

قالت تذكره: «حسناً! لكنك قلت إن علينا أن نتراجع وأن ننظر إلى الأمور كما هي عليه في الواقع».

أغمض مايسون عينيه قائلاً: «أجل، هذا ما قلته».

وعلى الرغم من ابتسامته، صممت روز ألا تتوانى معه.

- قلت إنك لا تريد الاستفادة من... ماذا قلت بالتحديد؟ آه! صحيح... وضعي الخاص؟

فتح عيناً واحدة وقال: «آه...!»

- وشيئاً ما يعني أن لدي الكثير من المشاكل.

فتح عينيه الاثنتين الآن، وقال: «أنا لم أقل مطلقاً مشاكل».

- ماذا قلت إذاً؟

- أعتقد أنني قلت «أوضاعاً غير مستقرة».

- وهل هناك فرق؟

- بالطبع!

تقدم مايسون خطوة نحوها حتى أصبح قربها تماماً. شعرت بأنفاسه الدافئة تلامس خدها وهو يكرر: «أوضاع غير مستقرة».

لم يكن العناق الذي جمعهما بعد ذلك عادياً، بل جاء مليئاً بالشوق والشغف. ضغطت روز بأصابعها على قميص مايسون، وشعرت بيديه تنزلقان عن ذراعيها لتستقرا حول خصرها.

جالت أصابعها على مساحة صدره، وما إن أمسكت بياقة قميصه حتى فتح الباب ودخل بارغن.

علق الطاهي بصوت مرتفع وكأنه يصرخ في الغابة: «آه، يا إلهي!»

في العادة يبدو مايسون هادئاً ومتزناً في الكلام، لكنه الآن شتم بقوة. ووافقته روز على ما قاله: «ألا يطرق أحدكم الباب قبل الدخول؟»

لم يتأثر الطاهي من الغضب البادي على رئيسه، بل قال: «ستبدأ عملها بعد دقائق... أم أنها ستقبض أجرها مما تفعله الآن؟»

- راقب ألفاظك بارغن!

قيلت الكلمات بنبرة هادئة ومنخفضة ما جعلها أكثر قوة وتأثيراً.

سأل بارغن: «إذاً... أهكذا تجري الأمور بينك وبين روز؟»

وعلى الفور أدركت روز أنه الشخص الوحيد في تشينس هاربور الذي لا يناديها روزي.

أكد له مايسون: «هكذا هي بالتحديد».

لأول مرة في حياتها تدرك روز أن لديها بطلاً ومنقذاً. لأول مرة في حياتها تشعر بأن هناك من يريد حمايتها.

قالت: «من الأفضل أن أبدأ العمل».

مرت أمام بارغن، لكن ما إن وصلت إلى الباب حتى توقفت ونظرت من جديد إلى مايسون، ثم تابعت: «أنا حقاً أقدر لك مساعدتك في... مسألة عائلتي».

قال مؤكداً: «سنجدها».

هزت روز رأسها، وغادرت.

* * *

أراد بارغن الشجار معها. هذا ما أظهره بوضوح طوال الفترة المتبقية من المساء. راح يعلق بإهانة ما أو بملاحظة مزعجة كلما تواجدت روز على مسافة تسمح لها بسماعه، أما هي فلم ترد بأي كلمة في المقابل. التقت روز بالكثيرين أمثال بارغن في حياتها، أشخاص لا ينظرون إلا إلى ظروفها القاسية، وهي لن تضيع وقتها في محاولة التقرب منه وجعله صديقاً لها. لكن خططها ذهبت أدراج الرياح إذ وجدت نفسها أمامه مباشرة بعد أن غادر الجميع. دخل مايسون إلى مكتبه لينهي بعض التحضيرات للاحتفال السنوي للمقهى في عيد القديس باتريك، أما النادلة الأخرى فغادرت باكراً هذه الليلة بسبب حالة عائلية طارئة.

تنفست روز بعمق ودخلت إلى المطبخ وهي تحمل الدلو والممسحة. بالكاد حظيت بالفرصة لتغسل الممسحة وتضعها على الأرض حتى بدأ بارغن بالحديث.

- تعتقدين أنك حظيت بفرصة سانحة هنا. أليس كذلك؟ جعلت رئيسك في العمل مشتتاً وضائعاً، فالرجل لا يستطيع إبعاد يديه عنك حتى في مركز عمله وهذا تصرف قذر.

اتكأت روز على عصا الممسحة، وقالت له بنعومة: «لا تبدأ بالشجار الآن».

- قاطعتُ مشهداً مؤثراً جداً بينكما في وقت سابق. ما الذي تأملين في الحصول عليه مقابل خدماتك تلك بالإضافة إلى تعلم القراءة؟

- دع مايسون بعيداً عن موضوعنا، بارغن. أنت لا تحبني. حسناً! الشعور متبادل، صدقني! أعلم أنني لست ملكة جمال، وأعلم أيضاً أنني لست متفوقة في الدراسة، كما أنني لم أكن مميزة في أي شيء إن أردت الحقيقة. لكنني لست فتاة مستهترة ومايسون هو...

ابتلعت غصة بصعوبة، فيما أخذت الدموع تخزها وتزايد الألم في حلقها.

أكمل بارغن عنها: «... مايسون هو بعيد جداً عن متناول يدك، صغيرتي. متى سترحلين؟»

قالت تتحداه وهي ترفع ذقنها: «لن أرحل».

لكن ذلك الاحساس الجديد بالثقة الذي شعرت به في وقت سابق من هذا النهار ذبل.

- يريد ابن عمي بيع سيارته. هي ليست سيارة جديدة لكنها تعمل بشكل مقبول. يريد تسع مئة دولار ثمناً لها، لكنني أستطيع إقناعه بأن يخفض الثمن، كما أنني مستعد لدفع متتي دولار عنك.

- ولماذا تفعل ذلك كله؟

- ليس لأنني أحبك بالتأكيد، بل لأنني أريدك أن ترحلي، ولأن والد مايسون قدم لي هذا العمل فوعدته والسيدة سترايكر أن أهتم بالصبي عندما تقاعدا ورحلا إلى أريزونا.

- كرمك لا يمكن وصفه.

- حسناً! ما هو جوابك؟

آه! لديها الكثير لتقوله، لكنها ابتلعت إجابتها البليغة وقالت عوضاً عنها: «لدي عمل أقوم به».

* * *

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة صباحاً عندما استلقت روز أخيراً في فراشها، لكن على الرغم من تعبها وإرهاقها فإن النوم جافاها. فكرت في العناق الذي جرى بينها وبين مايسون في مكتبه. إنه عناق رائع تماماً، وقد أثر فيها حتى الأعماق. لكن السؤال الذي يقض مضجعها هو: ما الذي يريده مايسون؟ بالرغم من رغبتها القوية بأن تسأله، إلا أنها خائفة من الجواب.

لطالما فكرت أنها لم تولد للارتباطات الطويلة المدى نظراً لتاريخها المعقد. كيف يمكنها ألاّ تكون كذلك وكل شخص تعلقت به في حياتها بالكاد مر بها مرور الكرام؟ لكن العاطفة التي تشعر بها الآن، بالرغم من الغرابة والخوف اللذين يسيطران عليها، هي بدون أي شك الحب. إنها عاطفة رقيقة هشة، مع ذلك تعلم روز أنها ليست مجرد إحساس عابر.

متى ستغادرين؟ هذا ما سألها إياه بارغن. لأول مرة في حياتها لم تعرف روز الجواب. ليس لأنها لا تريد البقاء فهي تريد ذلك فعلاً، لكنها أدركت أنه لا يكفي أن ترغب هي في ذلك. فهناك شخص ما يجب أن يرغب في بقائها مثلها تماماً... وهذا الشخص هو مايسون.

* * *

مقهى المنارة هو الاختيار الأمثل لتمضية عيد القديس باتريك. امتلأت المقاعد كلها بالزبائن، وساد الصخب والضجيج في كل أنحاء المكان.

بعد أن غادر الحشد الذي أتى إلى المقهى لتناول الغداء، أبعد مايسون وبارغن طاولة البليارد ليفسحا مكاناً لفرقة موسيقية تم حجزها

لهذه المناسبة.

وقف المطرب ذو الشعر القصير وراح يتحدث باللكنة الإيرلندية. أمسك بالمذياع وبدأ بتلقين الحشد كلمات ونغمة أغنية «لتل براون جاغ».

أخبرها مايسون أن الشاب تلقى علومه الثانوية في المقاطعة المجاورة، لكن جذور عائلته تعود إلى جزيرة الزمرد. قدمت روز إبريقاً جديداً من الشاي الطازج وقبضت الإكرامية المناسبة. إن استمر الحال كذلك ستحظى بما يكفي من المال لشراء أحد تلك الأثواب الحريرية الصغيرة المخصصة للنوم والتي رأتها في قائمة «فيكتوريا سيكرت». ابتسمت للصورة التي ارتسمت في مخيلتها. سألها برايس باتل: «أهذه الابتسامة لي، عزيزتي؟»

أمسك بها في لحظة عدم انتباه ما مكنه من جرها إلى حضنه بمجرد لقطة سريعة على ذراعها.

مما لا شك فيه أن روز القديمة كانت لتلكمه في وجهه قبل أن تبتعد عنه بسرعة، أما روز اليوم فهي أكثر رقة وأناقة. ضربته بمرفقها بحذر ووقفت على الفور، ثم ابتسمت له بتعال وهي تجيبه: «الشيء الوحيد الذي أستطيع تقديمه لك عزيزي هو فاتورة الحساب».

- أتوفرين هذا لمايسون فقط؟

مدّ يده ليمسك بيدها من جديد، لكنها تمكنت من تفاديه.

هذه المرة تابع قائلاً: «هيا! هو لن يمانع بذلك»:

قال مايسون من ورائها: «بل أمانع».

وقف قريباً جداً منها لدرجة جعلتها تشعر بحرارة جسده. شعرت بالاغواء لكي تتكأ على هذا الدفء المريح، لكنها في مكان عملها ومكان عمل مايسون، وهي لن تحرجه بمثل هذا التصرف. لا أحد في البلدة - باستثناء بارغن ومارني - يعلم أن هناك أي علاقة بينهما سوى

أنها موظفة لديه ومستأجرة في منزله. لكن مايسون أوضح تلك العلاقة عندما قال بصوت عال وبشكل كاف ليسمع بالرغم من عزف الفرقة الموسيقية: «أبعد يديك عن امرأتي!»

بعد ذلك عانق روز عناق حبيب لحبيبته.

قبل أن ينتهي العناق وقف قائد الفرقة الموسيقية أمام المذياع ليقول: «طُلبت منا أغنية «حبيبتي مثل الوردة الجميلة الحمراء» وسنحاول أن نؤديها بالاتقان المطلوب».

ما إن بدأت الموسيقى تسمع حتى أضاف المطرب: «هذه الأغنية مهداة إلى مايسون».

رفع مايسون نظره متفاجئاً، فقالت مارني من ورائه: «فكرت أنك قد ترغب بالطلب من روز مراقصتك. هيا! سأعمل مكانك».

- أحيانا تقومين بما هو صائب شقيقتي.

قال لها ذلك ثم سار برفقة روز إلى حلبة الرقص الصغيرة. كانت الحلبة مليئة بالراقصين، مع ذلك شعرت روز بالارتباك. عندما مدّ مايسون يده إليها، سارت مباشرة إلى ذراعيه وحاولت أن تتبع خطاه؛ اثنتان إلى الأمام وواحدة إلى الخلف. قاما بذلك من قبل، لكن بدا لها كأنها تقوم بهذه الخطوات للمرة الأولى.

همس مايسون في أذنها: «أنت ترقصين بمهارة. بالكاد أستطيع القول إنك تعدين الخطى».

ابتسمت له روز بخجل، وقالت: «شكراً».

- بالمناسبة، أنت تبدين جميلة أيضاً. لا بد أنك فعلت شيئاً لشعرك.

- نعم، قمت بتصفيفه.

ضحكت وهي تقاوم رغبة بأن تلعب بأطرافه التي جففتها كما اقترحت عليها مارني، فجمعتها عند مؤخرة عنقها، كما وضعت بعض

الجل على شعرها ليحافظ على تسريحته تلك.

- في الواقع حان الوقت لأقصه، لكنني أفكر في تركه ينمو أكثر.

- بغض النظر عن طول شعرك أو قصره، أنت مازلت تقودينني إلى الجنون.

بدت نغمة الأغنية هادئة وبطيئة أما كلماتها فرائعة، قالت روز: «هذه الأغنية جميلة حقاً».

في الواقع، فاجأها مايسون عندما أخذ يغني بصوت جميل: «. . . كالفن الجميل أنت، حبيبتي الجميلة. . . وأنا مغرم جداً بك. . . وسأحبك غاليتي. . . حتى تمسي كل البحار جافة».

ابتعلت روز غصة، فقد تأثرت كثيراً بالكلمات. لم تشعر بأي إحراج وهي تسأله: «تمسي جافة؟»

- يعني تصبح جافة.

هزت رأسها بتعجب. كان مايسون شرطياً وتحرياً خاصاً، وأصيب بطلق ناري بسبب عمله الخطير، ومع ذلك هو يملك معلومات كافية عن الطيور والأشجار، ويعرف كيف يرقص التانغو، ويغني ويفسر أبيات شعر لشاعر مات منذ زمن بعيد.

سألته: «كيف تعرف هذه الأمور كلها؟»

رفع مايسون كتفيه وأجاب: «من الكتب، بحثت عن مجموعة كتب تتضمن أشعاراً لبارنز وهذه الأغنية من ضمنها».

حرك جاجبيه وتابع: «سمعت أنها تستطيع فعلاً أن تغير في المزاج».

لمعت عيناه فجأة، وعلمت أنها شدّت انتباهه بالكامل إذ قال: «ربما علينا أن نتفق على موعد غرامي».

- موعد غرامي؟

سألها: «ألم تذهبي مرة إلى موعد غرامي؟»

لم يكن هناك أي أثر للسخرية في نظرته أو في نبرة صوته. شعرت روز بقليل من الخجل وهي تعترف: «لا، مطلقاً».

- إذاً أتطلع بشوق لأكون صاحب أول موعد غرامي معك.

بعد مرور ساعة تقريباً على موعد الاقفال، كانت الفرقة تعزف آخر أغنية لها «داني بوي» ولم تبق عين واحدة جافة في المكان. عندما جمع العازفون آلاتهم من المندولين والغيتار والطبول الصغيرة والكبيرة والبانجو ثم قبضوا ما يستحقونه من المال غادروا المكان، وغادر معهم معظم الزبائن.

كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة عندما تم تنظيف الأرض والطاولات. أمسك مايسون بآخر كوبين نظيفين ووضعهما على الرف وراءه. سارت روز نحوه عبر الغرفة، فسألها مايسون: «أتعرفين أي شعر إيرلندي؟»

- أعرف واحداً تعلمته من الأم التي تبنتني في دار الرعاية رقم أربعة، فهي إيرلندية.

تابعت بصوت هادئ وواضح: «هناك مراكب جيدة وهناك مراكب من خشب. تسافر المراكب في البحار، لكن أفضل المراكب هي تلك التي تحمل الأصدقاء. لتكن حياتنا دائماً مليئة بالأصدقاء».

قال مايسون: «آمين».

فغمزته روزي، وسألته: «أمستعد للذهاب؟»

- انتظريني فقط كي أقفل المقهى.

بعد مرور عدة دقائق سارا معاً في ذلك الليل الهادئ. بدا الهواء بارداً لكن مايسون رحب به، فهو بحاجة إلى أي شيء يهدئ من شدة اندفاعه نحوها. مدّ يده وأمسك بيدها وهما يسيران نحو المنارة، فقد ترك الجيب في المنزل هذا النهار.

- إذاً هل أنت حرة مساء هذا السبت؟

أجابت روز بخجل: «عليّ أن أسأل مديري في العمل».

- أنت حرة.

سألته: «وهل تدفع لي أجري؟»

- لا تبالغي!

- إلى أين تريد اصطحابي؟

لم يفكر أبداً في الأمر.

- ما رأيك في الجنة؟

قالت: «هدفك بعيد جداً».

- لا! في الواقع، إنها بلدة صغيرة تقع على خليج السمك الأبيض.

ضحك مايسون بعد أن قال ذلك، فضربته روزي على ذراعه.

- هل أعتبر هذا رفضاً؟

ما إن وصلا إلى الطريق الفرعية للمنارة المغطاة بالحصى، حتى سألها: «ما رأيك في الذهاب إلى نيويورك؟»

- بالطبع! وأنت ستدفع ثمن تذكرة السفر. أليس كذلك؟

ضحكت روزي، لكن مايسون توقف عن السير.

- أجل.

استدارت بسرعة، وبالرغم من الظلام الذي يسود حولهما أدرك مايسون أنها متفاجئة.

- هل أنت جدي؟

- بالطبع! لم أكن يوماً أكثر جدية.

- إلى نيويورك؟ لا. كنت متجهة إلى الغرب عندما تقابلنا. أتذكر؟

قالت ذلك بمرح وبساطة، لكنها لم تنجح في إخفاء حماستها وسعادتها، ما جعل مايسون سعيداً بدوره.

- مرت فترة طويلة مذ كنت هناك، ولطالما رغبت في العودة.

أعتقد أنك ستحبين المكان، فهناك شيء ما لكل شخص في نيويورك. هذا بالإضافة إلى أن الطعام هناك أفضل منه في أي مكان على الأرض.

- أتريد أن تأخذني إلى نيويورك لتتناول العشاء هناك؟

- كما سأدعوك لحضور مسرحية في برود شو، أيضاً.

كررت روزي بصوت كالصدى: «نيويورك!»

- أجل.

أمسك مايسون يدها، وشدها إليه وهو يتابع: «بإمكاننا السفر من المطار الصغير في هيوغتون في وقت مبكر من صباح السبت إلى ديترويت، ثم ننتقل في القطار السريع لنصل إلى نيويورك عند الظهر. بإمكاننا العودة إما في وقت متأخر من نهار الأحد أو في صباح يوم الإثنين إن رغبت بذلك. أريد أن نكون بمفردنا معاً، روزي».

- لسنا بحاجة للذهاب إلى نيويورك لنكون بمفردنا. أغلق باب بيتك كي لا تقتحمه مارني وأنا سأرضى بالبيتزا وبأي شراب تفضله في منزلك.

يعلم مايسون أنها ستفعل، لهذا بدا له من الأهمية بمكان أن يأخذها إلى مكان مميز.

- إلى نيويورك. ما رأيك؟

لم تجب روزي بل عانقته عوضاً عن الإجابة. بالرغم من برودة أصابعها التي لامست عنقه، شعر مايسون كأنه يتقد ناراً. يا إلهي! هذه المرأة تؤثر به بشكل لم يعهده من قبل.

عندما وصلا إلى المرآب، وقف عند أسفل الدرج وراقبها حتى فتحت باب شقتها في أعلى الدرج.

قالت له قبل أن تدخل: «لا أستطيع الانتظار حتى يوم السبت».

أخذ مايسون نفساً عميقاً من الهواء البارد المثلج، آملاً أن يبرد هذا الهواء حرارة مشاعره. فكر في سره: وأنا أيضاً!

٨ ــ صديق!

بدا الطقس جميلاً جداً صباح نهار الجمعة ما جعل مايسون يقرر القيام بالركض. ركض مسافة خمسة أميال عبر الطريق العام المحاذي للشاطئ. شعر بالاعتداد بنفسه لأنه تمكن من عدم التفكير بروزي وبرحلتهما القادمة. عندما وصل إلى الطريق الخاص بالمنارة أخذ يمشي على مهل. ما إن اقترب من الباب الجانبي، حتى انحنى حتى خصره وانتظر حتى يزفر أنفاسه. لمح الرزمة على الفور عندما وقف مستقيماً. عنوان المرسل: فيكتوريا سيكرت. على الفور تسارعت دقات قلبه كأنه يمتطي حصاناً في سباق. كل رجل يحلم برؤية ما تحتويه هذه الرزمة من ملابس داخلية. قرر على الفور أن الخيال هو نعمة ونقمة في آن معاً. زفر وهو يئن ما إن عاد خياله يسيطر عليه من جديد. لمعت فكرة في رأسه جعلت الدم يسير بارداً في عروقه، حتى إن خياله الجامح هدأ فجأة. من المحتمل أن تكون هذه الرزمة مرسلة إلى مارني، فأخته اعتادت استعمال عنوانه عندما ترغب في مفاجأة زوجها بشيء ما. احتاج مايسون للحظة ليتمكن من استجماع شجاعته لينظر إلى الاسم المكتوب على الورقة: الآنسة روزاليند بانيت.

حمل الرزمة إلى داخل المنزل ووضعها على طاولة المطبخ، ثم خلع السترة التي كان يرتديها فوق قميص قطنية طبع عليها شعار قسم الشرطة في ديترويت. مسح وجهه بها، ثم أمسك بعلبة عصير الليمون من البراد. شرب جرعة كبيرة، وراح ينظر إلى الصندوق.

ما الذي طلبته روزي؟ وكيف ستبدو وهي ترتديه؟

رفع الرزمة وهزها، ثم شعر كأنه طفل ضبط متطفلاً تحت شجرة عيد الميلاد عندما سمع طرقاً على بابه الخلفي وسمع روزي تقول: «هذه أنا».

قال بصوت عالٍ: «ادخلي!»

عندما دخلت روزي إلى المطبخ، انحبست أنفاسه في صدره. لاحظ أنها تضع زينة على وجهها ما جعل رموشها تبدو أكثر كثافة وطولاً وأكثر جمالاً. كما أن شعرها بدا أكثر إشراقاً مما هو عليه عادة. قال مايسون: «تبدين مختلفة».

أجابت روزي وهي تلوح بيدها: «هذا كله من عمل مارني. أتت إلى منزلي هذا الصباح وقالت إنني يجب أن أكون مميزة بما أنني سأزور نيويورك».

- لماذا؟

أمالت روزي رأسها وعلقت: «أختك غريبة الأطوار».

- أجل، لكنها تملك ذوقاً رفيعاً. تبدين جميلة جداً، كما أحببت شعرك.

- أنا أيضاً. أعتقد أنه يستحق العناء. ما الذي تحمله في يدك؟

نظر إلى الرزمة، وشعر على الفور بحرارة وجهه تتضاعف.

- آه! هذه... وصلت لأجلك.

قرب الرزمة نحوها وهو يتابع: «وجدتها خارج بابي عندما عدت من الركض. كنت سآخذها إليك».

أشرق وجه روزي بابتسامة كبيرة، وهمهمت بصوت ينم عن رضى كامل قبل أن تقول: «كنت آمل فعلاً أن تصل هذه الرزمة اليوم».

أشار نحو الرزمة قائلاً: «هل ستفتحينها؟»

- الآن؟

أجاب وهو يرفع كتفه بلا اكتراث: «لِمَ لا؟»

- لا، ليس الآن.

بلع ريقه بصعوبة وهو يتساءل ما الذي تحتوي عليه هذه الرزمة بالتحديد؟ أراد مايسون أن يعرف، لكنه لم يسأل لأن الدلائل تشير إلى أن ما في هذه الرزمة تجعل الرجل يركع على ركبتيه ويتوسل.

- أهي أشياء... من الدانتيل؟

- ربما.

ابتسمت روز له، فأجبر نفسه على ضغط شفتيه على بعضهما كي لا يفتح فمه كالأبله.

- مايسون؟!

تقدمت روزي إلى الأمام تاركة بينهما مسافة صغيرة جداً. استطاع أن يشتم رائحة الصابون الذي تستعمله وشامبو الشعر ومعجون الأسنان برائحة النعنع عندما تلفظت باسمه.

- نعم؟

- أنا متشوقة جداً للذهاب إلى نيويورك، لكن ما يسعدني أكثر هو أنني سأكون برفقتك.

لم يستطع مايسون التفكير بأي شيء ليقوله كإجابة عن كلامها. شعر كان لسانه التصق بسقف فمه، وفقدت أصابعه كل إحساس.

* * *

بالرغم من كلماتها في اليوم السابق في مطبخ مايسون، عندما هبطت روز في مطار لاغورديا في نيويورك، شعرت كأن شجاعتها تتخلى عنها. كلما تقدمت بهما سيارة الأجرة الصفراء إلى وسط المدينة كلما تضاعف توترها واضطرابها.

ماذا بعد رحلتهما هذه؟ هل سيدرك مايسون أن ليس هناك أي شيء خاص بينهما؟ ماذا لو أدرك أخيراً أن ليس هناك أي شيء مميز بها، وأن لا شيء يستحق ذلك الوقت والمجهود الذي بذله من أجلها والمال

الذي ينفقه عليها؟ آه! لا بد أنه سيكون لطيفاً وهو يخبرها بذلك. روز لا تشك بذلك مطلقاً، فليس من طبيعته أن يكون قاسياً.

مدّ مايسون يده، وأمسك بيدها ثم ضغط عليها: «أنت هادئة جداً».

أجابت: «هذه تجعل ديترويت بلدة صغيرة».

تمنت روز أن يقبل جوابها كعذر عن شرودها. قال: «وتبدو تشينس هاربور أقل صغراً».

- هل تفتقد للعيش في المدينة؟

- أحياناً. لكن تشينس هاربور ستبقى دائماً مكان إقامتي. ماذا عنك؟

المدينة أو الريف! لم يكن لدى روز يوماً أي تفضيل بينهما، كما لم يكن لديها يوماً مكان إقامة... لكنها رفعت كتفيها وأجابت: «بالطبع، أحياناً. فهناك الكثير الذي تستطيع القيام به في المدينة».

قال سائق السيارة: «والدورف - إستوريا».

وأوقف السيارة خارج المدخل المميز للفندق.

شهقت روز، ثم تنفست بعمق وهي تزفر الهواء من بين أسنانها. قالت بمرح: «ها قد وصلنا».

لكن ما إن أمسكت بمقبض الباب حتى أوقفها مايسون.

- هل أنت متوترة، روزي؟

- لماذا تظن أنني متوترة؟

ابتسمت، وتابعت: «مكثت في فندق مرة أو مرتين من قبل».

- ليس هذا ما قصدته. لا داعي للتوتر، سوف ننام في غرفتين منفصلتين كما تعلمين.

ساعدها كلامه لتهدئ من اضطرابها بشكل كاف لدرجة أن ابتسامتها بدت أقل مرارة.

سألته: «ألست نادماً على اصطحابي معك؟»

بدت ملامح وجهه في منتهى الجدية عندما أجاب: «لا شيء فيّ قد يتبدل عندما يتعلق الأمر بك، وأنا لا أريدك أن تشعري بأي نوع من الضغط».

مالت نحوه، وعانقته بخفة قبل أن تقول: «لا أشعر بذلك».

لم تكذب رزو عندما أخبرت مايسون أنها مكثت في فندق من قبل مرة أو مرتين، لكن تلك المباني الصغيرة لا يمكن مقارنتها بوالدورف - إستوريا. بعد أن سجلا اسميهما طلب مايسون من الحاجب أن يحمل حقيبتيهما إلى الطابق الذي سينزلان فيه، فيما ذهبا للتجول في الطابق الأرضي. نزل مايسون في هذا الفندق مرة من قبل، لهذا قام بجولة سياحية برفقتها.

في طريقهما نحو المصاعد، توقفت روز أمام حوض مليء بأزهار الزنبق تعطر المكان برائحتها. قالت: «كم هذا جميل!»

ثم استدارت نحو مايسون، وتابعت: «كل ما فيه، مايسون. لم أتوقع هذا كله».

- أنا أبذل كل ما في وسعي عندما أحاول التأثير بامرأة ما.

وأضاف قائلاً: «هذه القاعة خاصة بآرت دايكو».

- لا أعرف آرت دايكو من الخطوط العشوائية، لكن شكراً لك. لن أنسى هذا مطلقاً، مايسون. لن أنسى أي شيء، حتى أدق التفاصيل.

- يسرني أنك سعيدة.

استقلا المصعد إلى جناحهما. رأت روزي ناراً تشتعل في المدفأة كما رأت صينية موضوعة على طاولة صغيرة تحتوي على كوبين ووعاء للسكر، فيما وضع أبريق للشاي فوق المدفأة. الأبواب الفرنسية التي تفصل غرفة الجلوس عن غرفتي النوم كانت مفتوحة. لمحت عند أقدام السرير الواسع في الغرفة الأولى الحقيبة التي أعارتها إياها مارني وفي الغرفة الأخرى رأت حقيبة مايسون.

لم يعاملها أحد بمثل هذا الدلال من قبل، فهي لم تكن يوماً مهمة بشكل كاف ليحاول أي رجل أن يؤثر فيها. شعرت بالدموع تتجمع في عينيها وتخز جفونها ما ضاعف من ألم حلقها. فكرت، يا للسخرية! ها هي ترغب في البكاء بينما هناك شخص ما يحاول أن يجعلها سعيدة.

لم تتحرك من المكان الذي وقفت فيه بعد إغلاق الباب فقال لها مايسون: «تعالي! هنا منظر رائع لبارك أفنيو».

سارت إلى حيث يقف ممسكاً الستارة ليتمكن من الرؤية. لاحظت أن عدة طوابق تفصل الساحة عنهما، كما أن هناك ازدحاماً كبيراً لأنها تستطيع سماع أصداء الأبواق والمحركات من خلال الزجاج. ترك مايسون الستارة تسقط من يده وجذب روزي إلى ذراعيه.

- لا أدري كيف ولماذا، لكن أعتقد أنني جعلتك حزينة.

- لا، لست حزينة بل مذهولة. جعلتني أشعر أنني مميزة، مايسون. لم أشعر مطلقاً بمثل هذا الاحساس من قبل.

وقفت على رؤوس أصابع قدميها، وحاولت معانقته، لكنه تراجع إلى الوراء.

- لنوضح أمراً هاماً. لا أريد أي إحساس بالامتنان، فليس هذا ما يجمعنا. أعاملك بطريقة مميزة لأنك امرأة مميزة.

وعندما ابتسمت، هزها قليلاً قائلاً: «أنت مميزة فعلاً، روزي!»

خطط مايسون لتمضية بعد الظهر في التجول لرؤية أماكن مميزة في المدينة، ليتناولا بعدئذٍ عشاء باكراً في مطعم فرنسي من فئة خمس نجوم قبل أن يتوجها إلى المسرح ليشاهدا الأسد الملك. تصور أنه سيقوم بمغازلتها على ضوء الشموع، والموسيقى الناعمة، مع دزينتين من الورود الحمراء التي ستسلم لها في وقت متأخر من هذا المساء. لم يتصور مطلقاً أنهما سيستسلمان للعناق منذ الآن، لكن هذا ما حدث...

ها هو يشعر بالاغواء بسبب صراحتها، والقوة الواضحة التي حولتها من ضحية إلى محبة للحياة والبقاء. لم يدرك من قبل مطلقاً أن هناك أي جاذبية في الشجاعة. لكن شجاعة روزي وقوامها الجميل وشفتيها المكتنزتين كلها مليئة بالجاذبية والاغواء.

أقسم مايسون من قبل إنه لن يحاول مطلقاً إنقاذ النساء البائسات بعد الآن. لكنه لم ينقذ روزي. لم يكن بحاجة ليفعل، لأنها قامت بذلك من تلقاء نفسها ومنذ وقت بعيد جداً. أما في الوقت الراهن، فقد ردت إليه الخدمة، فجعلته يعلم أن مساعدة الناس لا تجلب للمرء الندم. عليه أن يبقى على ما هو عليه، وما يجيد القيام به. وهذا أمر يجب عليه الافتخار به.

عانقها مايسون بيأس لم يشعر به مطلقاً من قبل.

مدت روزي يديها لتطوق عنقه، وقالت: «بإمكان نيويورك أن تنتظر، مايسون، لكن ما بيننا لا يمكنه الانتظار».

لاشك أنها على حق. جلسا على أريكة مريحة أمام الموقد. قال وهو يحيط وجهها بيديه: «أنت أجمل امرأة رأيتها في حياتي».

وعانقها مجدداً، لكن فجأة لمع شيء ما في فكره. قال وهو يسير نحو الباب: «انتظريني قليلاً».

سألته روزي غير مصدقة: «هل ستغادر الآن؟

أكد لها مايسون وهو يبتسم بمكر: «آه! لن أذهب إلى أي مكان، لكنني لا أريد أن يقاطعنا أحد».

أمسك بإشارة «ممنوع الازعاج» ثم فتح الباب وعلقها على مقبض الباب من الخارج. صحيح أن مارني وبارغن على بعد أميال من هنا، لكن قد تأتي إحدى عاملات التنظيفات لتبدل أغطية السرير.

قالت روزي: «تفكير سليم».

أمضيا معظم الوقت بعد الظهر متعانقين وهذا بدا كافياً بالنسبة

لهما. احتسيا الشاي في وقت ما ما بين عناقاتهما. فكرت روز أنها ستشعر بالسعادة لو بقيت جالسة برفقته على تلك الأريكة حتى وقت المغادرة في اليوم التالي، لكن مايسون ظل مصمماً على جعلها ترى معالم المدينة. قال وهو يبتعد عنها: «نحن على الأقل بحاجة لنأكل، كما أنني وعدتك برؤية معالم المدينة».

وحرك حاجبيه بطريقة مضحكة. ضحكت روز، لكنها لم تتحرك. بدلاً من ذلك رفعت ذراعها اليسرى وغطت بها عينيها، وأخذت تصغي وهو يتحرك في الغرفة. إنها بحاجة لتستجمع ذاتها، إذ تدور في أعماقها مشاعر كثيرة، عواطف جديدة وأحاسيس يجب أن تفهمها، تقيمها وتصنفها. تعلمت منذ وقت طويل أثناء حياتها بين الشوارع أن العلاقات العاطفية سلاح ذو حدين، لكن روز تمكنت من رسم خط واضح ضدها حتى في أكثر الأوقات يأساً في حياتها. مع ذلك، ها هي الآن مع مايسون. أخيراً فهمت لماذا يتغنى الشعراء بالحب. لطالما اعتادت أن تحرك عينيها بسخرية لهذه التعابير الوردية، أما الآن فيبدو لها أن تلك الكلمات مناسبة لوصف حالها مع مايسون. صحيح أنهما لم يتحدثا عن الحب، فبالنسبة إلى روز تلك الكلمة مخيفة وجديدة عليها لتتمكن من لفظها، لكنها أوضحت له مع كل لمسة وكل عناق أنها تسكب كل ما في قلبها من عاطفة له، كما أن نظراته إليها أخبرتها أن شعورهما متبادل. لا بد أنه كذلك...

- يا إله السموات!

قفزت روزي على الفور ما إن سمعت عبارة مايسون، وأمسكت بذراع الأريكة بقوة.

- ماذا؟ ماذا هناك؟

جالت عيناها على الغرفة متوقعة أن ترى عنكبوتاً ساماً أو شيئاً من هذا القبيل يبرر عنف نبرة صوته، لكنها لم تجد شيئاً من ذلك. عندئذٍ

أدركت أن مايسون يحدق بها... يحدق إلى ذراعها. ركع بإحدى ركبتيه على الأريكة ومدّ يده إلى ذراعها. أدارها نحوه ليتمكن من رؤية الجروح الصغيرة الدائرية التي تتبع بعضها من رسغها حتى مرفقها.

- من فعل بك هذا؟ من الذي فعل هذا بك؟

أبعدت روزي رأسها إلى الوراء متمنية لو أن الغرفة ليست مضاءة بقوة كما هي أو أن الجروح القديمة ليست بيضاء ومشعة كما تبدو.

- إنها... لاشيء. مجرد جروح صغيرة. كلانا نملك جراحاً.

قالت ذلك ونظرت عمداً إلى كتفه.

- أجل، وأنت تعلمين كيف أصبت به.

نظرت إلى البعيد وقالت: «مايسون، من فضلك. إنها من الماضي، وهي ليست هامة».

- كل ما يتعلق بك هام بالنسبة لي.

قال ذلك، ومد يده ليمسك بوجهها، وتابع: «أخبريني، روزي!»

لم ترغب روزي في القيام بذلك، فما الفائدة من إخباره بكل تفاصيل الاذلال التي عاشتها في طفولتها؟ لكن ذلك الصبر الهادئ في نظرته جعل الكلمات تخرج من شفتيها.

- سألتني مرة لماذا لم تتبناني عائلة ما، وقلت لك إنني كدت أصبح ابنة للعائلة التي أخذتني في كنفها للمرة الأولى...

أخبرته عن الزوجين اللذين أعلنا حبهما لها وعن ابنهما الطبيعي الذي اعتدى عليها بالحرق، ما جعل بقاءها في كنفهما أمراً مستحيلاً.

لم يذكر مايسون لها الكلمة المعهودة: آسف. لذلك شعرت روزي بالرضى، كما لم تكن هناك أي شفقة في تعابير وجهه، بل ظهر شيء ما أقرب إلى الاعجاب، إلا أن ذلك جعلها تشعر بعدم الارتياح. لكي تملأ الصمت الثقيل، قالت:

- لم تكن تلك غلطتهما.

- ربما، لكنها لم تكن غلطتك أيضاً.

مد ذراعها ليتمكن من طبع قبلة ناعمة على كل جرح، وعندما لامست شفتاه الجرح الأخير، أدركت روز أخيراً الحقيقة في كلماته.

* * *

تناولا غداء متأخراً في مطعم صغير لا يبعد كثيراً عن المكتبة العامة في نيويورك. تحدثا طوال فترة تناولهما الطعام، أو بالأحرى تحدث مايسون وروزي أصغت إليه مذهولة بالمعلومات المثيرة التي يعرفها عن نيويورك.

- أعلم أنك زرت نيويورك من قبل، لكن كيف تعلم أن الناس هنا يطلقون اسم برنهام فولي على المبنى الذي مررنا به؟ وأن تمثال الأسد عند مدخل المكتبة العامة يدعى الصبر والجلد؟ لم أقابل يوماً شخصاً مثلك.

لدهشتها تورد وجه مايسون، ثم أخرج كتاباً صغيراً من جيب سترته وتمتم: «دليل سياحي».

ضحكت روز حتى شعرت بألم في خاصرتيها.

- وأنا اعتقدت أن صديقي عبقري؟

جاء دورها الآن ليتورد وجهها، صديقها! صديقها! أهو حقاً كذلك؟ بدت لها الكلمة غير مناسبة، فهي لا تعطيه الوصف الحقيقي لوجوده في حياتها وللمكان الفارغ الذي ملأه إلى حد الاكتفاء في هذا الوقت القصير. لكن بماذا تستطيع أن تصفه؟

قال مايسون يمازحها: «أتقولين إنني لست ذكياً؟»

شعرت بالرضى لأنه لم يتأثر مثلها بالكلمة التي قالتها.

- آه! أنت ذكي... ذكي جداً في...

رفع إصبعه وقال: «آه، آه! تراجعي عما ستقولينه».

في طريق عودتهما إلى الفندق، توقفا في المكتبة العامة. لم تشاهد

روز يوماً هذا العدد من الكتب تحت سقف واحد. سحبت كتاباً عن أحد الرفوف، شارلوت برونتي «جاين إير». جلست إلى إحدى الطاولات الضخمة المصنوعة من خشب السنديان في الغرفة الرئيسية المخصصة للقراءة حيث وافقت على لقاء مايسون. فتحت الكتاب وقرأت السطر الأول: «لم يكن هناك احتمال للمسير في ذلك اليوم...».

تلعثمت وهي تقرأ الكلمة الرابعة لأنها جديدة عليها، لكن بعد لحظة فقط لفظتها في فكرها، ثم ابتسمت برضى.

همس مايسون ما إن جلس على المقعد المقابل: «ما الذي تفعلينه؟»

أجابت بفخر: «أقرأ».

وعلمت من ابتسامته أنه يفهم تماماً ما الذي تعنيه لها هذه المتعة البسيطة.

كاد بعد الظهر ينقضي، لكن روز أقنعت مايسون بزيارة مبنى أمباير ستايت. قالت: «أعلم أن هذا المبنى كان في وقت ما أعلى مبنى في العالم».

هز رأسه وأجاب: «بقي كذلك لمدة أربعين سنة. هل تعلمين أنه سمي المبنى الفارغ أثناء أزمة الركود الاقتصادي لأن الكثير من مكاتبه لم تؤجر؟».

من شرفة المراقبة في الطابق ١٠٢ فكرت روز أن المدينة تبدو اصطناعية وحسنة المظهر، لكنها تحب رؤية المناظر من الشارع. ليست كل الأضواء والأصوات والروائح جيدة، لكن كلها حقيقية وهي تترك انطباعاً ما. فكرت: إنها تشبهني!

- حسناً! أعتقد أن من الأفضل أن ننطلق إن كنا سنذهب لرؤية «الأسد الملك».

قالت روز ذلك ما إن وقف مايسون وراء المنظار الكبير ليحدق في المدينة تحته.

- سنذهب غداً بدلاً من الليلة. لا أعتقد أنني أستطيع أن أمضي عدة ساعات معك في الظلام من دون أن أتمكن من معانقتك أو ضمك إلي. وسمعت أنهم لا يرضون بذلك في المسرح.

- غداً؟ لكنني أعتقدت أننا سنعود إلى البلدة غداً؟

- تبديل آخر في الخطة إن كنت لا تمانعين.

نظر إليها مايسون من فوق المنظار، وتابع: «أريد أن أمضي يوماً آخر برفقتك، روزي».

- أنا لا أمانع. لكنني لا أستطيع أن أقول الكلام نفسه بالنسبة لمارني، فهي من ستعمل عنا معاً في المقهى.

رفع مايسون كتفيه وقال: «سنأخذ لها معنا تذكاراً ما».

ابتسم بمكر وهو يضيف: «رأيت قبعة جميلة جداً لتمثال الحرية، ولا بد أنها ستبدو رائعة عليها».

٩ ــ روزي الجديدة

عاد مايسون وروزي في وقت متأخر من بعد ظهر يوم الاثنين من عطلتهما الطويلة. بعد أن رتبت ثيابها، قررت روز التوجه إلى المقهى لتعيد الحقيبة التي أعارتها إياها مارني. هي تعلم أن المرأة الأخرى مشتاقة لتسمع تفاصيل الرحلة. وجدت مارني تقدم البرغر إلى برايس باتل واثنين من فريق عمال الطريق ما إن وصلت، لكن ذلك لم يمنع شقيقة مايسون من القول بصوت عالٍ: «آه! طيرا الحب عادا. كيف حال نيويورك، أم أنه لا داعي للسؤال؟»

سحبت قطعة من البطاطا المقلية من طبق برايس، وغمستها في الكاتشب، ثم قالت له: «دخل مايسون إلى المقهى وهو يصفر منذ ربع ساعة، لذا أقول إنه من المحتمل أنهما لم يخرجا من الفندق».

أدارت روزي عينيها قائلة: «ونحن اللذان تعمدنا أن نبحث لك عن شيء ما للذكرى».

قالت مارني ممازحة: «هل فعلتما ذلك حقاً؟ أهي سجادة حمام والدورف - إستوريا ومناشف ملائمة لها؟»

فأجابتها: «لا، لكن لا شك أنك ستحبينها. تعالي إلى المكتب عندما تحظين بوقت فراغ لكي تتمكني من تجربتها».

كما توقعت روز، أشرق وجه مارني وأضيء مثل شجرة الميلاد. سألتها: «أهي ثياب؟ هل أحضرتما لي ثياباً من نيويورك؟»

هزت روز رأسها وهي تفكر في القميص القطنية التي طُبع عليها «أحب نيويورك» والتي تناسب قبعة تمثال الحرية، ثم قالت: «آمل أننا

أحضرنا لك المقاس المطلوب».

أمسكت مارني بذراع روز وجذبتها إلى غرفة المؤونة.

- أريني ما جلبتماه لي.

- إنه ليس بالشيء الكثير.

قالت روزي ذلك وهي تبحث عن كيس الهدية في الحقيبة. شعرت بوخزة من الذنب وهي تضيف: «إنها مجرد هدية صغيرة عربون شكر لك على تعهدك المقهى وعلى إعارتك لي هذه الحقيبة وبعض ثيابك».

دفعت مارني يدها بشوق داخل الكيس، وتمكنت من إظهار ابتسامة على وجهها وهي تنظر إلى الثياب.

- لم يكن هناك من داع لذلك، حقاً.

ثم تابعت بنبرة تعاطف: «وفي النهاية، أنا سعيدة بمساعدتك. لم أنزعج مطلقاً وأنا أعمل على تغيير لون شعرك وطلاء أظافرك وتعليمك كيف تضعين ظلال الجفون وأحمر الخدين».

أضافت روزي وهي تضحك: «يعتقد مايسون أنك موهوبة بذلك».

أجابت مارني: «أعتقد أنني موهوبة في أمور كثيرة، لكن عليّ إخبارك روزي أنني عاتبة عليك لأنك لم تخبريني ما الذي طلبته من لائحة «فيكتوريا سيكرت»».

شعرت روزي بفمها يُفتح من شدة الاستغراب.

- كيف علمتِ أنني طلبت شيئاً ما من «فيكتوريا سكرت»؟

- إنها بلدة صغيرة، عزيزتي. وصديقتي سوزان متزوجة من شاب يعمل في وكالة الشراء عبرالبريد.

- إذاً نصف سكان البلدة يعلمون من أين أشتري ثيابي الداخلية.

قالت روزي ذلك بنبرة تظهر استيائها وعدم تصديقها.

- لا. سوزان ليست ثرثارة، لكن تقريباً كل شخص هنا يعرف، والآن ها هم يضعون الأمور في نصابها، طلبك للثياب الداخلية ورحلة

نيويورك، وها أنتما في منتهى السعادة.

دخل مايسون في تلك اللحظة.

- ما الأمر؟

قالت مارني بكل صراحة: «كنت أتأكد من أناقة روزي الجديدة».

لم يستطع التفكير بأي شيء ليقوله، لذا وقف عند إطار الباب وهو يشعر بسخافة الأمر. ربتت مارني على وجهه المتورد قبل أن تغادر، وهمست بصوت لم يسمعه أحد سواه: «هنالك أساليب تستعمل لتحافظ على أنوثة المرأة، مايسون. وهذا ما أتمناه لروزي».

* * *

مرت الأسابيع وأصبح الطقس أكثر دفئاً. وانتشرت الأعشاب على طرقات الغابة، كما بدأت مياه البحيرة المتجمدة بالذوبان، لكن بقي الجليد مكوماً على سطحها. تحول روز ومايسون عن التزلج على الثلوج إلى السير عليها. حاول مايسون إقناعها بالجري بدلاً من السير، لكن بالنسبة إلى روز فإن الجري مجرد مزيد من العمل. لذلك كانا يسيران ثلاثة أميال معظم الأيام عند الصباح.

عندما وصلا إلى منتصف الطريق في جولتهما هذا النهار، حاول مايسون من جديد إقناعها بالجري. ركض عدة خطوات أمامها، ثم سار وعاد راكضاً إلى حيث تمشي.

- هيا، روزي! الجري سيساعدك على تقوية عضلاتك وإعطائها شكلاً جميلاً.

لاحظت روز بإعجاب عضلات جسده الرشيق تحت بذلة الركض.

- أنت تبتسمين. هل هذا يعني الموافقة؟

- أبتسم لأنني... ليس بالأمر الهام. لا، لم أغير رأيي. هل رأيت أحدهم يبدو سعيداً وهو يركض؟

قال ناصحاً: «الجري مفيد لك».

- وكذلك كبد الدجاج، لكن حتى عندما كنت أتضور جوعاً لم أتذوقه.

اقترب مايسون ليسير قربها وهو يقول: «من الصعب التفكير أنك كنت تعانين من الجوع».

أشرق وجهها بابتسامة رائعة، فتساءل إن كانت تدرك كم تفعل ذلك مؤخراً، أو مدى تأثير تلك الابتسامة على دقات قلبه.

- أهذه طريقتك المهذبة لتخبرني أنك لاحظت الوزن الزائد الذي حصلت عليه منذ وصلت إلى هنا؟

آه، بالطبع لاحظ ذلك، وهو لا يتذمر البتة. فما زالت روز نحيلة بالنسبة إليه، لكن جسدها النحيل أصبح أكثر رشاقة. مع أن ليس هذا ما يقصده بالتحديد.

قطب جبينه وهو يقول: «هذه أميركا. من المفترض ألا يجوع الناس هنا».

- ألأنها أرض الخيرات والوفرة؟

- أجل.

- لكن الناس يجوعون بالفعل هنا، وأحياناً لا يجدون مأوى أيضاً.

تابعت بهدوء: «حالتي هي برهان على ذلك، برهان حي».

- حسناً! لكن لا بد من وجود شبكة للحماية.

- هناك شبكة للحماية مايسون، لكنها لا تشمل كل إنسان. مجرد وجود التعليم المجاني لا يضمن لكل طفل في هذه البلاد تعلم القراءة. الفقراء والمشردون والأميون لا صلة لهم مع الأشخاص الذين يسنون القوانين ويرصدون الأموال لأجل ذلك، وبشكل عام نحن لا ننتخب. أنت بحاجة لتقرأ ورقة الاقتراع في السجل. أنا لا أملك أي شيء من ذلك، ليس لدي عنوان ثابت، كما أنني أعجز عن قراءة ورقة الاقتراع لأعبر عن رأيي بها.

- هل تحاولين أن تقولي لي شيئاً ما، روزي؟

- لا! أنا لست مثل مارني، مع أنني أعلم أن قلبها وحدسها في المكان الصحيح. ربما لديك أسبابك كي لا تدخل حقل السياسة، وأنا أحترم أسبابك تلك.

- لكن؟

- لكن أعتقد أن لديك شغفاً لا يمكن تجاهله.

عندما ابتسم بمكر، نظرت إليه بعينين ضيقتين وهي تتابع: «أنا لا أتحدث عن الشغف الحسي هنا، مايسون».

- حسناً! الشغف ليس كافياً. أنت بحاجة إلى تواقيع كثيرة وإلى اتصالات لا تحصى وإلى المال... الكثير الكثير من المال. فالانتخابات تجري مرة كل سنتين، وهذا يعني أنك ستعملين طوال الوقت على إعادة انتخابك.

- ما عدا خلال الدورة الثالثة في المنطقة نفسها.

رأت الدهشة في تعابير وجهه ولم تدرِ إن كان عليها أن تشعر بالسعادة من أجل ذلك أم تشعر بالاحباط. رفعت روز كتفيها وعلقت: «شروط الحد الأقصى. أنا أحاول قراءة الجرائد بين الحين والآخر، وبالطبع التلفزيون في المقهى لا يتوقف عن البث طوال السهرة».

- حسناً! قد يتمكن النائب من وضع بعض القوانين الجديدة، لكن حتى مع شروط الحد الأقصى من يضع القوانين تبقى عيناه على مكتب آخر أكبر. إنهم جميعاً يتسابقون نحو مجلس الشيوخ أو المكتب الوطني، أو ربما يقررون الاهتمام بأعمالهم الخاصة، فهناك أموال طائلة يجنونها بذلك.

- أهذا ما ترغب في القيام به؟

- بالطبع لا. ما أريد قوله هو إن النظام ليس مثالياً.

تنهد مايسون باستياء وتابع: «لا أعتقد أنه سيء للغاية، لكن أحياناً

أعتقد أنه قريب من السوء».

رفعت روز كتفيها، وعلقت: «إذاً، النظام ليس مثالياً. أختك على حق، فأنت ستكون مشرعاً مثالياً لأن قلبك سيهديك إلى الموضع الصحيح. لا بد أنك ستشعر بالارهاق بين الحين والآخر، لكنك لن تتخلى عن مبادئك. أعتقد أن هذا أحد الأمور التي أحبك كثيراً لأجلها».

تلون وجهها بعد أن قالت ذلك، وشعرت بدقات قلبها تتضاعف. منذ عودتهما من نيويورك توطدت علاقتهما وأصبحا متقاربين جداً، يتبادلان الأحاديث حتى ساعات متأخرة من المساء. لكن لا أحد منهما استعمل هذه الكلمة بالتحديد لوصف ما يجري بينهما.

والآن ها هي تفعل ذلك.

توقف مايسون عن السير. أمسك بيدها ليجعلها تتوقف مثله. بما أنه لم يعلم بالتحديد بما سيجيبها، قرر أن يسألها: «ماذا تحبين في أيضاً، روزي؟»

توقع بعض الاسترضاء لغروره، أو ربما تبديلاً في الموضوع أو ربما تعليقاً لاذعاً، لكن عندما أجابت، كلماتها الهادئة أثرت به في الصميم.

- أنت تنظر إلي مايسون. هذا ما فعلته منذ اليوم الأول عندما التقطتني عن الطريق العام. أنت تنظر مباشرة إلى عيني عندما تتحدث إلي أو عندما أتحدث إليك. أنت تراني حقاً.

- أنت جميلة جداً، ومن الصعب عدم رؤيتك.

مال برأسه ليطبع قبلة على رأسها.

- لا، لست كذلك. لطالما شعرت تجاه نفسي كما يشعر ذلك الشاب الذي قرأنا عنه الأسبوع الماضي، في كتاب رالف أليسون.

قال مايسون: «الرجل غير المنظور».

- أجل. أعلم أن الناس يستطيعون رؤيتي، لكنهم عادة يرغبون بألاّ

يفعلوا. هم يلاحظونني بشدة عندما أدخل إلى متجر ما مرتدية سترة بالية وسروالاً ممزقاً، فيقولون بصوت عالٍ: «راقب بحذر تلك الفتاة، فقد تحاول سرقة شيء ما». لكن بالنسبة إلى الدولة أنا مجرد رقم، وبالنسبة للعائلة التي تتبناني أنا مبلغ إضافي مضمون. وبالنسبة للمدارس مجرد مزعجة تعمل على تخفيض المستوى العام للنتائج الدراسية. جميعهم لم يروا مطلقاً روز بانيت، فكيف بروزي الوحيدة؟

- لا تبكي!

- لن أفعل.

لكنها أدركت بعد لحظات أن خديها مبللان بالدموع وأن حلقها يغص بعواطف غامرة شعرت أخيراً بالأمان لتتمكن من التعبير عنها.

- أحبك، مايسون. أعتقد أنني بدأت أحبك منذ المرة الأولى التي ناديتني بها روزي. فقد رأيتني أنا.

مسح مايسون دموعها، وضمها إليه بشدة وهو يتمتم: «أنا أحبك، أيضاً».

لم تشعر روزي يوماً بمثل هذه السعادة. هذا ما أصبحت تفكر به هذه الأيام. إنها روزي! روزي بانيت.

لم يعد هناك مكان لروز. روز هي المتجولة اللاذعة اللسان، صاحبة الشعر القصير كالأولاد والتي تتجول بدون هدف أو راحة.

أما روزي فبإمكانها القراءة، صحيح أن شعرها ما زال قصيراً لكنه مصفف بأناقة، وأصبح أكثر اشقراراً الآن، كما أنها لم تعد بلا هدف أو دائمة التجول. بات لديها هدف في الحياة، ولأول مرة باتت لديها جذور. صحيح أنها يافعة وسطحية لكنها موجودة، وتتغلغل في أرض تشينس هاربور الغنية. كما أنها سجلت اسمها لتتمكن من الانتخاب.

تشينس هاربور هي مرفأ الفرص الأخيرة، هذا ما قاله لها مرة مايسون حين أخبرها أن الناس يرغبون في تسمية بلدتهم كذلك. والآن

تجد روزي أن الفكرة موفقة جداً. كل ما حولها يجدد نفسه. الأشجار تتفتح براعمها، والطيور الصغيرة عادت إلى أعشاشها لتغرد على الأشجار باحثة عن غذائها، ونمت الأزهار البرية في الغابات المنتشرة خلف المقهى.

شعرت كأنها تتجدد هي أيضاً وبأنها جميلة. في كتاب عن الزهور البرية استعارته من المكتبة العامة وجدت صورة لزهرة السوسن البري وتدعى العلم الأزرق. إنها زهرة فاتنة وريقاتها تتفتح بجمال ونعومة، مع ذلك فهي تنمو في المستنقعات.

أحبت روزي فكرة أن شيئاً ما بهذا الجمال والروعة ينمو في مكان قذر بشع، فذلك أعطاها المزيد من الأمل. وتماماً كما تغيرت هي، تغير مايسون أيضاً. ففي اليوم الذي وصلت فيه بطاقة روزي الانتخابية بالبريد، فاجأها ومارني أنه قرر خوض الانتخابات لتمثيل الناس في المنطقة. قال إن هناك ثغرات في نظام حماية الطفولة يجب أن تملأ، وقرر أن يجعل من هذا الأمر هدفه ليتأكد من إصلاحها، وإن بإمكانه أن يفعل ذلك بصورة أفضل إن كان عضواً في المجلس التشريعي.

فكرت روز، النائب مايسون سترايكر! لا بد أن اسمه ذو وقع جيد جداً.

دخلت روزي المقهى وهي تصفر قبل أن تبدأ بعملها. ابتسمت ما إن لمحت مايسون وراء الطاولة في مكانه المعهود. حين رآها قال بصوت عالٍ: «لدي أخبار جيدة لك».

أمسكت بقبضة يدها بضع حبات من الفستق، وقبل أن تضعها في فمها سألته: «ما هي؟»

- أعتقد أنني وجدت أمك.

كادت روزي تختنق بحبات الفستق، وأخذت تسعل بشدة قبل أن تتمكن من القول: «ماذا؟»

- لنذهب إلى المكتب.

ثم نادى أخته متابعاً: «مارني، انتبهي إلى المقهى قليلاً».

ارتمت روزي على الكرسي وراء مكتبه عندما أغلق الباب وراءهما. أخبار جيدة!؟ لكن... هل هي كذلك؟

- هل تعتقد أنك وجدتها؟

- أنا أعمل على الأمر منذ عدة أسابيع. لم أرغب في إخبارك قبل أن أصل إلى نتيجة. لكن يبدو أن هناك أملاً ما. اسمها دولوريس. دلوريس كنغسلي ترلير، وهي في الثانية والأربعين من عمرها فقط، وهذا يعني أنها كانت في السادسة عشرة عندما ولدت.

امتصت روز المعلومات، أو بالأحرى حاولت أن تفعل. لكنها سمعت فقط الرقمين ١٦ و٤٢ وفكرت بالهوة الفسيحة بينهما.

- على الأرجح أنها خافت حتى الرعب، فتربية طفلة مسؤولية كبيرة، لا سيما عندما تكون الأم نفسها مجرد طفلة.

إنه يحاول أن يجعلها تشعر بالتحسن. يحاول إيجاد الأعذار للمرأة التي منحتها الحياة ثم تخلت عنها. أحبته روزي أكثر بسبب ذلك.

- أين هي الآن؟

- في كاليفورنيا.

تمتمت وهي تفكر: «وأنا كنت متجهة غرباً... ماذا سنفعل الآن؟»

- سأسافر إلى سان دييغو صباح الغد.

- بمفردك؟

أمسك مايسون يدها، وضغط عليها بحنان وهو يقول: «أعتقد أن هذا أفضل. من الأفضل ألاّ أصطحبك عبر البلاد لمطاردة وهم وسراب».

- ماذا لو كانت هي فعلاً المرأة المطلوبة؟

- ستبقى هي ذاتها عندما أعود. بعدئذٍ ستقرران معاً كيف تريدان أن تلتقيا.

استفسرت روزي: «ماذا لو لم ترغب في رؤيتي. كان بإمكانها أن تبحث عني، مايسون. اسمي مسجل في دور الأيتام ولدى الشرطة منذ أكثر من خمس عشرة عاماً».

- حسناً! في هذه الحالة ستحصلين على بعض الأجوبة. وستعلمين ما هو اسمك الحقيقي.

قالت بهدوء: «لم يعد الأمر يهمني الآن، لطالما تساءلت عن مكانها، لكنني الآن لم أعد أهتم. أنا روزاليند بانيت. أنا روزي».

قال مايسون: «أجل. هذا ما أنت عليه بالتحديد».

* * *

أقلعت طائرة مايسون من مطار هيوغتون في جو مليء بالضباب والمطر. حاولت روزي ألا تفكر أن هذا فأل سيء، لكن صعب عليها ألا تفعل. وقفت في المطار لتضم مايسون إليها بشدة قبل أن يصعد إلى الطائرة التي ستقله إلى مطار أوهاري شيكاغو، ومن هناك سيسافر ثانية إلى كاليفورنيا. أحست أن جزءاً منها لا يريده أن يذهب.

حتى الآن، وفيما هي تقود جيب مايسون عائدة إلى تشينس هاربور لم تستطع إلا أن تفكر أنه ربما من الأفضل لها لو تركت الماضي وراءها، فهي ليست بحاجة إلى الأجوبة كما كانت من قبل. إنها تعلم من هي الآن، حتى لو لم تكن لديها عائلة من قبل، فلديها الآن أشخاص يعتقدون أن لها قيمة وأهمية بالرغم من عدم وجود صلة دم بينهما وبينها... أليس هذا كافياً لها؟

ما إن انطلقت بسرعة تزيد عن الستين ميلاً في الساعة على الطريق الخالية الممتدة أمامها حتى وضعت روزي إحدى الأغاني المفضلة لمايسون في آلة الموسيقى ورفعت الصوت عالياً.

انبعث صوت ستيفن تايلر وهو يغني إحدى أغانيه الكلاسيكية. تمنت روزي أن تخلصها هذه الموسيقى من قلقها ومخاوفها.

١٠ ــ الحقيقة المرة

أثناء الرحلة الطويلة من سان دييغو إلى شيكاغو راح مايسون يفكر بما سيفعله. هل عليه أن يخبر روزي عما اكتشفه بشأن والدتها؟ هل يخبرها بكل ما عرفه، أم من الأفضل ألا يخبرها بأي شيء؟ ليس لأنه يعتقد أنها لن تتمكن من تحمل سماع الحقيقة المرة، فهو يعرف أن روزي محترفة في تحمل الصدمات. لكن في هذه القضية بالذات، ما الغاية من تعريضها للمعاناة؟

استقل الطائرة التي ستحمله من شيكاغو إلى هيوغتون ولم يكن بعد قد وضع تصوراً عما سيفعله ما إن تطأ قدماه أرض المطار ويقف وجهاً لوجه أمام المرأة التي يحبها.

حسناً! وجد مايسون دولوريس كنغسلي التي أصبحت الآن دولوريس ترلير، فهي متزوجة من صاحب مصرف، وتعيش حياة مترفة في إحدى ضواحي سان دييغو.

عندما وصل إلى منزلها في اليوم السابق، كانت المرأة في الباحة الأمامية للمنزل تعتني بحوض الزهور. جلس في سيارته المستأجرة عبر الشارع، وبما أن زيارته غير متوقعة تمكن من التقاط بعض الصور لها. إنها في الثانية والأربعين من عمرها، وما زالت جميلة جداً. حياتها المتهورة في شبابها عُوض عنها من خلال التمارين الرياضية الأسبوعية وعلاجات في منتجعات باهظة الثمن وبعض عمليات التجميل. هذا ما علمه من خلال بعض التحريات السرية في الجوار. سقطت خصلة من الشعر الأشقر من تحت قبعة القش التي تغطي وجهها الجميل، فيما

حملت دولوريس بعض الأغصان المقصوصة بيدها التي يغطيها القفاز. إنها تعمل على تشذيب نبتة من الورود بكل أناقة وكبرياء، ما جعل مايسون يشعر فجأة بالتوتر والضيق.

خرج من السيارة وسار نحوها ملاحظاً ملامح أخرى فيها تشبه روزي كلما ازداد اقتراباً، الجسد الرشيق النحيل مع الساقين الطويلتين، بالإضافة إلى عظام الخدين المرتفعين والشفتين المكتنزتين.

ابتسمت له في البداية بتهذيب وفضول واضحين، فلمح روزي التي يعرفها بعد خمس عشرة سنة. لكن سرعان ما اختفت الابتسامة ما إن أخبرها عن الغاية من زيارته.

أدرك مايسون بسرعة الاختلاف الكبير بين المرأة التي يحبها والمرأة التي تشاركها الدي أن أي.

نظرت دولوريس كنغسلي ترلير مباشرة في عينيه، وقالت له من دون أن يرف لها جفن: «هذا أمر حدث في الماضي».

أبقت صوتها منخفضاً، فمن الواضح أنها حريصة ألاّ يسمعها أحد الجيران الذين يعيشون على الثرثرة، وألاّ تسمعها الفتاتان المراهقتان اللتان تعملان على غسل السيارة في الطريق الخاصة للمنزل الذي يبدو على شكل مزرعة مستقلة. تماماً مثل روزي وأمهما بدت الفتاتان شقراوين ونحيلتين. قدر مايسون أن إحداهما في الخامسة عشرة والثانية في الثالثة عشرة. من الواضح أن كلتيهما غير قادرتين على قيادة المرسيدس الحديثة الطراز التي يقومان بتنظيفها بالصابون الكثيف.

لدى روزي أختان، مع ذلك فأمها لا تريد أية علاقة بها.

لم ينوِ مايسون السماح لدولوريس أن تنجو بفعلتها بسهولة، فهذا ما فعلته في السابق ولن يسمح لها بتكراره الآن. ليس قبل أن يحصل على الأجوبة التي تريدها روزي... الأجوبة التي هي بحاجة إليها

وتستحقها: «انظري إلى ابنتك».

قدم لها إحدى الصور التي التقطها لروزي في مدينة نيويورك. بدت روزي في الصورة مبتسمة بل تشع بالابتهاج وهي تقف على قمة مبنى إمباير سيتايت، فيما حول الهواء البارد خديها إلى لون زهري. بدت جميلة وسعيدة، وبالنسبة إلى مايسون بدت فتاة مختلفة تماماً عن الفتاة المشردة الجائعة التي التقطها عن الطريق العام منذ أشهر خلت. قطبت المرأة الواقفة أمامه جبينها لرؤية الصورة، وأبعدتها عنها بإحدى يديها، وكأن رؤية الشابة المبتسمة أمر يصعب عليها تحمله.

- اقترفت خطأ، سيد سترايكر...

- اسمي مايسون، ويمكنني القول إنه أكثر بكثير من مجرد خطأ.

نظرت دولوريس بقلق من وراء كتفها، وأخفضت صوتها حتى بدا كأنها تهمس وهي تقول: «كنت في السادسة عشرة من عمري ولا أعيش حياة ملائمة عندما وُلدت كريستل».

- كريستل؟

تأوه مايسون، ثم أغمض عينيه لبرهة. عمل من قبل في شرطة ديترويت لفترة كافية، وهو يعرف تلك التصرفات المسيئة للأطفال بسبب إدمان أولياء أمورهم. تمنى أن يكون مخطئاً بشكه، وتمنى ألا يكون الأمر كذلك عندما سألها: «دعيني أحزر... هل كنت مدمنة؟».

هزت المرأة رأسها بقوة، فشعر بانقباض في معدته.

- هجرت المنزل. كنت أعاني من مشاكل عدة، وتزوجت رجلاً يعمل في توزيع المواد الممنوعة.

- تخليت عن كل شيء من أجل نزوات عابرة، وانتهى بك الأمر لتصبحي حاملاً.

قال مايسون ذلك بمرارة. لم يفكر للحظة أن ما سيكتشفه عن ماضي روزي سيكون بمثل هذا السوء. جزء منه تمنى أن تنكر المرأة

كلامه البشع، لكنها لم تفعل. بدت متكبرة أنيقة وبعيدة جداً عن قذارة شوارع ديترويت المظلمة.

والدا دولوريس عاشا في أحد تلك المنازل الكبيرة التي تطل على بحيرة سانت كلار، وكانت هي طفلة وحيدة لديهما. دفعا الكثير من المال لتحصل ابنتهما الوحيدة على ثقافة عالية، فأرسلاها إلى أكاديمية للفتيات على الساحل الشرقي، وكانت تبقى هناك تسعة أشهر كل سنة. كانت دولوريس كنغسلي مثالاً حياً للفتاة الثرية المدللة. فقد تعمدت القيام بأي شيء لتحصل على اهتمام عائلتها. والآن، أدرك مايسون أنها وجدت ما تريده عندما أصبحت مدمنة.

ذكره ذلك بالوضع اللذي كانت عليه إميليا، ولمع بياله على الفور أنه وروزي أصيبا بجروح كثيرة بسبب أشخاص مدمنين. فكر بمرارة أن هناك من لا يكترث مطلقاً لمثل هذه الأمور.

- تخلى عني والداي. قالا لي إنني ما دمت في ذلك الوضع فإنه غير مرحب بي في منزلهما وإنهما لن يدفعا تكاليف دراستي في كونكتيكت...

- وهكذا هربت من المنزل.

- أجل. هربت، حتى إنني لم أدرك أنني حامل إلا بعد فوات الأوان.

- أتعنين فوات الأوان على التخلص من الجنين؟

رفعت ذقنها لكنها لم تنظر إلى عينيه، إلا أنه حصل على الجواب. كانت لتتخلص من روزي لو استطاعت. شكر الله لأنها لم تفعل.

شحب وجهها قليلاً فوضعت المقص في جيبها، ثم نزعت القفازين من يديها ببطء.

- حاولت أن أؤمن حياة لنا عندما توفي والدها، لكن صعب علي الأمر عندما استمر والداي بمعاقبتي. كان علي أن أقوم ببعض

الخيارات، وأعترف أن بعضها كان بائساً.

- خيارات بائسة؟!

قال مايسون ذلك بصوت كالرعد. لا يمكنه أن يدعها تتنصل من الماضي، ماضي روزي الذي وسم بالكثير من الرفض والعذاب.

قالت له بتوسل: «أخفض صوتك».

ثم لوحت وابتسمت بفرح لابنتيها اللتين أخذتا ترمقان مايسون بنظرات ملؤها الشك والحيرة. قالت الفتاة الكبرى: «هل كل شيء بخير، أمي؟»

- أجل، حبيبتي.

وتابعت محدثة مايسون: «أعتقد أن عليك الرحيل».

- ليس بعد.

قال ذلك بصوت منخفض، ثم تابع: «الدي ما أقوله لك سيدتي تركت ابنتك عند زاوية شارع في ديترويت. تركتها تحبو هناك وهي لا ترتدي إلا قطعة بالية في منتصف الشتاء. كان بإمكانك أن تتخلي عنها عبر وسائل قانونية، هذا بدون ذكر وسائل أكثر سلامة لها. ابنتك تستحق ذلك على الأقل. كان بإمكانك القيام بذلك لأجلها حتى لو كنت يافعة. أنت اتبعت الطريقة الأسهل، لكن ابنتك عانت كثيراً بسبب ذلك».

- لا أعلم كم تريد أنت والفتاة سيد سترايكر، لكنني سأدفع كل ما تطلبانه.

تملكه غضب لا يوصف لأن كل ما تفكر به هذه المرأة هو مبلغ من المال، في حين أن ما تريده روزي هو الاحساس بالأمان. أجاب مايسون بغضب: «ابنتك لا تريد مالاً. إنها تريد أجوبة، وربما فرصة للقائك. هي تريد حبك».

تراجعت المرأة خطوة إلى الوراء وهي تقول: «آه، لا! هذا

مستحيل! لدي حياة جديدة الآن. إنني أعيش حياة هانئة وسعيدة، وأنا كذلك منذ...».

- دعيني أحزر. منذ أن تخليت عن ابنتك وعدتِ إلى أمك وأبيك.

قالت بحزم: «وافق والداي على دفع المال لإعادة تأهيلي. كنت في التاسعة عشرة من عمري، ولم تكن حياتي مقبولة بأي شكل من الأشكال. قدم لي والداي فرصة جديدة، وأنا قبلت بها. لن أشعر بالذنب بسبب ذلك».

- لكنهما لم يرغبا بابنتك. من الصعب عليهما أن يفسرا لأصدقائهما في نادي اليخوت من هو والدها. أليس كذلك؟

- هيا! تابع مرافعتك عن حقوق الإنسان، سيد سترايكر. قمت بما وجب علي القيام به حينها، وسأقوم بما يجب علي القيام به الآن. إن حاولت أنت أو الفتاة الاتصال بي مجدداً، سأتقدم بشكوى إلى الشرطة.

زفر مايسون بقوة وهو يقول: «إذاً، أهذا هو جوابك؟»

- آسفة، لكن هذا ما سيحدث. أنا اتخذت قراري. فعلت ذلك منذ ثلاثة وعشرين عاماً.

بدأ مايسون بالالتفاف، ثم توقف وقال: «هل كان من السهل عليك التخلي عنها؟»

ابتلعت المرأة غصة، ولمح ما تمنى أن يكون إحساساً بالندم، لكن ما لبثت أن لمعت عيناها بشدة وعزم وهي تجيب: «ذلك أفضل ما أمكنني القيام به».

- أحقاً؟ يجب أن تسألي ابنتك عن ذلك. تنقلت المسكينة بين دور الرعاية لمدة خمس عشرة سنة، وهي تعيش منذ ذلك الوقت بالحد الأدنى للبقاء على قيد الحياة. لحسن الحظ أنها تمكنت من القيام بذلك.

- قد لا تصدقني، لكنني سعيدة لذلك.

- لكن ليس بالقدر الكافي لتقابليها أو لتعرفيها على أختيها.

وأشار بيده نحو الفتاتين في الطريق الفرعية.

اتسعت عيناها من شدة الرعب، وقالت: «لا علاقة لهما مطلقاً بكريستل».

- روزي... اسمها روزي الآن، وقد لا توافقك الرأي.

هز مايسون رأسه بحزن وألم، ثم قال: «أحب ابنتك، سيدة ترلير. إنها جميلة، ذكية ومرحة. ألا يعني لك هذا شيئاً؟»

- يسعدني أنها بخير.

قالت ذلك بضيق، وارتدت قفازيها من جديد. بدا له أن عملها هذا رمز لا يمكن التغاضي عنه، فهي لا تريد مطلقاً أن توسخ يديها.

- لكن؟

- لكن هذا لا يغير الوقائع. زوجي لا يعرف شيئاً عن ماضي سيد سترايكر وكذلك ابنتاي، وأنا مصممة على إبقاء الأمر على هذا النحو.

هز مايسون رأسه باستخفاف واحتقار، ثم قال: «جيد. حصلت على الأجوبة التي أتيت لأجلها بكل الأحوال. لكن لمعلوماتك سيدتي، لديك ثلاث بنات لا اثنتان فقط».

والآن، بينما كانت الطائرة الصغيرة تسير على مدرج هيوغتون، لم يعد مايسون متأكداً أنه حصل على كل الأجوبة التي كان يسعى إليها، وهو يعلم بدون أي شك أنه لا يملك أي جواب يمكن لروزي أن ترغب في سماعه.

* * *

كانت بانتظاره ما إن خرج من الباب الكبير. رأى مارني واقفة قربها، لكن عينيه بقيتا مسمرتين على روزي، فهي ترتدي قميصاً حمراء اللون تناسب تماماً لون أحمر الشفاه الذي تضعه، وسروال جينز جديداً وضيقاً يظهر طول ساقيها وجمال خصرها. هذا كله من عمل مارني،

لكن لا شك لديه أن روزي يمكنها أن تشع وتزهو من دون أي مجهود تبذله شقيقته. إنها سعيدة الآن ومستقرة وتعيش حياة مثالية، ومايسون يريدها أن تبقى كذلك. اتخذ قراره في تلك اللحظة. سار بسرعة أكبر وكأنه يركض، وعندما وصل قربها ضمها إليه بشدة. ومن دون أن يهتم لأي شخص يراقبهما، عانقها مايسون بشوق وحب، ولم يتوقف إلا بعد سماع سعال شقيقته.

أنهى العناق، لكنه لم يترك روزي تبتعد عنه.

همس لها: «اشتقت إليك».

- هذا ما فهمه الجميع شقيقي.

علقت مارني باستياء قبل أن تتمكن روزي من التقاط أنفاسها. بدا لروزي أن هناك شيئاً ما سيئاً في طريقة إمساك مايسون لها بقوة. بدا كأنه يحاول حمايتها أو امتصاص صدمة ستتعرض لها، لكن عليها أن تعلم على الفور ما اكتشفه في رحلته. لا يمكنها الانتظار حتى يصلوا إلى الجيب ويبدأوا رحلة العودة إلى تشينس هاربور.

- ماذا حدث؟ مايسون، ما الذي وجدته؟

- لنغادر من هنا أولاً.

- لا! أريد أن أعلم الآن، من فضلك... وقبل أن نخطو خطوة أخرى.

نظر مايسون إلى مارني ثم إلى روزي مجدداً، بدت هذه الأخيرة غاية في الاضطراب. قال ببطء: «الأخبار ليست جيدة».

هزت رأسها موافقة، وقالت: «هذا ما توقعته. لكنها لن تصبح أفضل أثناء عودتنا إلى المنزل».

قادها نحو مقعد فيه عدد من الكراسي، ثم أجلسها بلطف عليه قبل أن يربض أمامها.

- هي لا تريد أية صلة بي. أليس هذا ما حدث؟

بدا مايسون كأنه يبحث عن الكلمات المناسبة، فهي لم تره مطلقاً من قبل بمثل هذا الحذر وبمثل هذا التوتر.

- ليس الأمر كذلك. إنها... إنها... أمك توفيت، روزي.

أخيراً تمكن من قول ذلك، ثم تابع: «يؤسفني أن أخبرك بذلك».

- توفيت؟

هذه صدمة مؤلمة ومفاجئة. سألته: «متى؟ وكيف؟»

- تعرضت لحادث سيارة منذ أسبوع فقط. لهذا السبب لم أعلم بالأمر قبل أن أسافر إلى كاليفورنيا، لكنني حظيت بفرصة التحدث مع جارة لها. حصلت على بعض الأجوبة لك، وعلى... هذه.

أخرج صورة من جيبه وقدمها لها. إنها صورة عادية لامرأة تقف في باحة نضرة وهي تعتني بالزهور. تبدو المرأة سعيدة وجميلة. أخيراً أصبح لديها وجه تفكر به عندما تفكر بأمها. مع ذلك ما زال لدى روزي ملايين الأسئلة.

قالت مارني وهي تضغط على يدها: «إنها جميلة روزي، وأنت تبدين مثلها تماماً».

سدت العاطفة حلقها للحظات. لم تكن متأكدة مما تشعر به. كيف يمكن لها أن تحزن على امرأة لم تعرفها يوماً؟ على امرأة قالت لنفسها منذ وقت طويل إنها تكرهها؟ أمن الخطأ أن تشعر بالضيق لأنها لم تعد قادرة على مواجهة أمها الآن؟ أمن الخطأ أن تشعر بالحزن لأنها لن تحصل على الأجوبة التي بدأت مؤخراً تفكر فيها بقوة؟

- ما الذي اكتشفته أيضاً؟

- آه! عاشت هي وزوجها بهدوء، كما أن جيرانها أحبوهما.

رفعت روزي رأسها، وسألته: «هل كانت متزوجة؟ هل لديها أطفال؟»

هز رأسه ونظر إلى البعيد: «آه! لا... لا أطفال لديها».

سألته: «هل لديك أية فكرة لماذا تخلت عني؟»

- حسناً! كانت صديقة حميمة لإحدى الجارات. تحدثت مع المرأة مطولاً، وشرحت لها سبب زيارتي. قالت لي إن أمك تحدثت عنك عدة مرات. وقالت - أقصد الجارة - إن أمك ندمت كثيراً على ما حدث، لكنها كانت يافعة وخائفة جداً في ذلك الوقت. قالت إنها كانت تتمنى أن تكوني بخير وأن تكوني سعيدة وأن تسامحيها على هجرانها لك مهما كانت أوضاعك.

- أحقاً؟

- أجل. هذا بالتحديد ما قالته.

أمسك مايسون بيديها كأنه يريد أن يعطي كلماته أهمية أكثر مما هي عليه فعلاً.

- لقد أحبتك، روزي... على طريقتها الخاصة. أنا متأكد أن أمك أحبتك. كيف يمكن لها ألاّ تفعل؟

هزت رأسها مرة، ثم هزته مجدداً قبل أن تعلق: «حسناً! الآن أصبحت أعلم. أليس كذلك؟»

قالت مارني: «أجل، بالطبع».

كرر مايسون: «الآن أصبحت تعلمين».

لكن شيئاً في تعابير وجهه بدا حزيناً كما لو أنه يعيش إحساساً بالذنب.

أبعدت روزي هذه الأفكار عنها. لماذا سيشعر مايسون بالذنب؟ ليست غلطته أن أمها ماتت.

قالت مارني: «لنذهب إلى المنزل».

المنزل! مع ذراع مايسون التي تلف كتفيها ويد مارني التي ما زالت تمسك بيدها، لم تستطع روزي أن تفكر بمكان أفضل وأجمل للذهاب إليه.

١١ ــ الرحيل ممنوع

حل الصيف، وبدأ السياح يتوافدون بالعشرات ومعظمهم من المنطقة الجنوبية.

تفخر روزي الآن أنها واحدة من أهل المنطقة. وبالكاد باتت تلاحظ أنها تنهي جملها باللكنة الخاصة بهم. كما أنها تعتبر نفسها مواطنة كاملة في مجتمع تشينس هاربور، وتلبية لمطلب مارني الملح انضمت إلى لجنة تزيين البلدة، وهذا يعني بالتحديد زراعة الزهور في أحواض خاصة صغيرة خارج المحلات والمتاجر على الطريق الرئيسي في البلدة. بالإضافة إلى ذلك فقد تعمد مايسون ومارني أن يجعلاها تشعر أنها جزء من كيان هام جداً... إنها جزء من عائلتهما.

وضعها الشرعي كفرد من عائلة سترايكر لم يكن رسمياً، لكن مارني تتحدث عنها بقولها «العمة روزي» عندما تتحدث بحب مع طفلها الذي ينمو ببطء داخل أحشائها، وغالباً ما تشجع مايسون على الزواج من روزي، وهكذا ينجبان ابن خال لابنها كي يلعبا معاً.

لكن روزي تقول لنفسها إن هذا كافٍ، فهي ليست بحاجة إلى خاتم زفاف وفستان أبيض وباقة من زهر البرتقال، أو إلى الوقوف أمام الناس والكاهن لتقطع وعوداً على نفسها هي ومايسون فهو يحبها ويريدها، وهذان الأمران معجزة بالنسبة لها.

بالرغم من تفكيرها هذا هي تعلم أن شيئاً ما بينهما تغير. لاحظت ذلك مباشرة بعد عودته من كاليفورنيا، لكنها لا تستطيع اكتشاف ذلك الشيء. هو لم يبتعد عنها مطلقاً، ومازال مغرماً بها كما كان من قبل،

لكنها أحياناً تضبطه يراقبها وفي عينيه نظرة حزينة. وأحياناً يبدأ بقول شيء ما وتكاد تقسم أنه شيء هام، لكنه يبدل رأيه أو يغير الموضوع، ويقول: «لا شيء هام».

هذا اللاشيء بدأ يثير قلقها... لكن ليس لديها الوقت الكافي لتفكر في الأمر، فوتيرة العمل والحياة تضاعفت مع ارتفاع الحرارة في المنطقة. ملأ السياح أماكن الاصطياف على حدود تشينس هاربور، وهم لا يتركون مكاناً خالياً في أي فندق في عطلات نهاية الأسبوع.

لم يكن الشاطئ الصخري القريب من المنارة مرغوباً فهو شبه خاص، لذلك عمدت روزي إلى تمضية فترات بعد الظهر هناك، لتتعرض لأشعة الشمس وتصغي إلى الأصداء المريحة الرائعة للأمواج المتكسرة على الشاطئ. أصبح بإمكانها أن تقرأ الآن لدرجة تسمح لها بأن تحضر معها كتاباً وتستمتع بقراءته.

كانت روزي تراقب باخرة تمر في تلك الفترة من بعد الظهر عندما سقط خيال ما عليها، فرفعت نظرها لترى وجه بارغن المتجهم.

- يريد السيد أن يعلم إن كنت تستطيعين التوقف عن اللهو لكي تذهبي إلى العمل في وقت مبكر هذا اليوم، فمارني تشعر بالتوعك.

تجاهلت روزي تعليقه عن تمضية أوقات فراغها، وسألته: «هل هي بخير؟»

أجاب بصوته الخشن: «مجرد تعب عادي من جراء الحمل، فهي تقوم بكثير من الأعمال إن أردت رأيي بصراحة».

تمتمت روزي: «علينا أن نقيدها إلى كرسي في المرة القادمة عندما تأتي إلى المقهى. أعتقد أنها الطريقة الوحيدة لنتمكن من منعها من الحركة».

فاجأها بارغن بما بدا لها شبه ضحكة. لأول مرة يوافقها على شيء ما تقوله.

- قل لمايسون إنني سأكون هناك على الفور بعد أن أبدل ثيابي.

وقفت وحملت الغطاء عن الأرض والكتاب، ثم رمت أرضاً ما تبقى من شرابها وبدأت بصعود الممر الصخري الموصل إلى المنارة.

كادت روزي تتعثر وتقع إلى الوراء عندما سمعت الطاهي يجيب: «حسناً، روزي!»

* * *

دخلت روزي المقهى وهي ترنم أغنية، وعندما وصلت إلى المطبخ لترتدي مئزراً نظيفاً شعرت بأنها سعيدة جداً لدرجة أنها ابتسمت لبارغن، فقال لها هذا الأخير بغضب: «هذه الابتسامة لن تخولك الحصول على قطعة بطاطا مقلية قبل موعد عشائك، فتاتي».

- آه! أنت تحبني، بارغن، هيا! اعترف بذلك.

تمتم بارغن بجدية: «تعرضت كثيراً لأشعة الشمس، ولا بد أنك مصابة باهتزاز في الرؤية».

- سمعتك تناديني روزي.

- وإن يكن؟ إنه اسمك. أليس كذلك؟

- لا تقلق، لن أخبر أحداً.

وشعرت بثقة كافية لتربت على خده. قال بسرعة: «اخرجي من مطبخي».

لكن نبرة صوته لم تحمل أي أثر للضغينة. حتى إنه لم يحاول أن يضرب يدها عندما تسللت لتسرق قطعة بطاطا من الصينية المليئة بالبطاطا الطازجة. ما إن خرجت روزي من المطبخ حتى لمحت مايسون جالساً إلى مكتبه وهي تمر أمام بابه المفتوح. كان يضغط سماعة الهاتف على أذنه فيما ظهرت نظرة غاضبة على وجهه الوسيم. قال مايسون وهو يبعد سماعة الهاتف عن فمه: «من الجيد أنك أتيت باكراً فأنا أتكلم مع أحد موزعي العصير. لقد أخطأوا في الطلبية».

أدار عينيه وتابع: «هذا آخر ما أنا بحاجة إليه اليوم».

- رأيت تلك المرأة من الحزب الديمقراطي في الخارج. هل هناك ما أستطيع القيام به قبل البدء بعملي؟

أطلق مايسون شتيمة قبل أن يسألها: «هل وصلت دينا الآن؟»

هزت روز رأسها، وأجابت: «وصلت تقريباً قبلي مباشرة. قدمت لها كوباً من الشاي المثلج، وهي بخير الآن. لا تقلق».

- حسناً! لكن لا أريد أن أدعها تنتظر، وهؤلاء الشبان أمسكوا بخناقي.

وأشار بيده الحرة إلى الهاتف.

قالت روزي محاولة المساعدة: «يمكنني تولي أمر المخابرة عنك. قل لي فقط ماذا يجب أن أفعل».

ابتسم مايسون بارتياح، ثم طبع قبلة على رأسها وهو يسلمها سماعة الهاتف.

- أنت ملاك. اعملي على مراجعة الطلب معهم فقط. إنها القائمة ذاتها منذ شهرين أو أكثر. الملف في الدرج الأول إن أردت أن تتأكدي مما سيقولونه. الأخوة كونزي للتوزيع.

توقف عند الباب واستدار. ثم سألها: «هل يبدو شكلي مقبولاً؟»

مقبولاً؟

مررت لسانها فوق أسنانها. يا له من وصف جاف لوسامته! ما من كلام يمكنه أن يصف الشعر الجميل الأشعث والخدين المنحوتين، أما نظرته الثاقبة فما إن تقع عليها حتى تشعر بعاطفة لا تقاوم، تماماً كما يحدث لها الآن. الاحساس القوي نحوه جعلها تقول ممازحة: «يمكن أن يتم القبض علي بسبب ما أفكر به».

مع ذلك شعرت بالدهشة لهذا الاحساس المتأجج دائماً إليه. رفع حاجبه متأملاً، وأجاب: «آه... حسناً! احتفظي بأفكارك تلك حتى أجد الوقت الكافي للبحث فيها».

www.elromancia.com

ثم سألها من جديد: «إذاً، أخبريني... كيف أبدو؟»

- قبلة أنظار كل الناس.

رمت له قبلة في الهواء متمنية له الحظ الجيد.

ما إن غادر مايسون حتى فتحت روزي الدرج الأول، وأخذت تبعد بإبهامها الملفات عن بعضها. وسحبت الملف الذي كانت تبحث عنه. لكنها من غير قصد منها سحبت ملفين في الوقت ذاته. عندما أرادت أن تعيد الملف الثاني أوقفها اسم الملف مكانها بصورة مفاجئة؛ «دولوريس كنغسلي ترلير».

وضع مايسون ملفاً لأمها. ابتسمت روزي وفكرت، هذا هو مايسون بالتحديد. فالرجل دقيق ومنظم بشكل لا يضاهى. فتحته متوقعة أن تقرأ تلك المعلومات المقتضبة ذاتها التي أخبرها بها مايسون، لكنها فوجئت بما يحتويه الملف، فهناك المزيد والمزيد... بما في ذلك اسمها الحقيقي كريستل ماري كنغسلي، وعدة أوراق طبع عليها تسلسل الظروف والأحداث التي تتعلق بولادتها، وكيفية عيش أمها في ذلك الوقت. أخذت تقرأ الملف فيما الأنين والتأوه يخرجان من شفتيها، وهي تشعر بالغثيان في معدتها؛ ولدت من أبوين مدمنين لم يرغبا بوجودها للحظة واحدة!

ابتلعت روزي بصعوبة المرارة التي زحفت إلى حلقها.

هذا كثير جداً عليها لتتحمله، وكثير على الشخصية الجديدة التي بدأت تعيشها وتتأقلم بها.

حتى قبل أن تبدأ بامتصاص الألم الذي تشعر به، لمحت روزي الصور. لم تكن صوراً لأمها فقط، بل هناك فتاتان أيضاً. فتاتان مراهقتان مشابهتان تماماً لروزي. أصابتها تلك الصور بصدمة أكبر لدرجة أنها تهاوت وكادت تقع لو لم تمسك بحافة المكتب. لقد كذب عليها مايسون!

لدى روزي أختان أصغر منها، وقد رآهما أثناء رحلته إلى كاليفورنيا. نظرت إلى ما تبقى من المعلومات نظرة خاطفة محاولة البحث عن وثيقة وفاة أو أي معلومة عن حادث السيارة المميت الذي أودى بحياة والدتها، لكنها لم تجد شيئاً. لم تجد شيئاً على الإطلاق حتى نظرت إلى الهامش ولمحت «رفضت اللقاء» وقد وضعت بين قوسين ووضع تحت الكلمتين سطرين.

- هل يمكنني مساعدتك؟

سمعت الصوت على الهاتف، عندها أدركت أنها لا تزال تضغط بسماعة الهاتف على أذنها.

- لا!

لا أحد يستطيع. هذا ما فكرت به وهي تنهي الاتصال، ثم أخفت وجهها بيديها.

أمها ما زالت حية، وهي تعيش حياة مريحة في ضواحي سان دييغو. وتملك سيارة مرسيدس مركونة أمام البيت، ولديها فتاتان رائعتان. مع ذلك تركت ابنتها الثالثة منسية بعيداً في خزائن الزمان.

أما مايسون... فقد كذب عليها. كذب عليها في كل شيء. حتى رفض أمها لها لم يسبب لها كل هذا الألم. ففي النهاية، دولوريس كنغسلي لم تدعي يوماً حباً لروزي.

هزت روزي رأسها محاولة أن تهدأ وتفكر. لماذا يحتفظ مايسون بكل هذه المعلومات الهامة التي يمكنها أن تبدل حياتها لنفسه؟ وقفت وهي لا تزال تشعر بارتجاف في جسمها، وسارت نحوالباب. ستسأله بكل بساطة، ستسأله عن السبب.

عندما وصلت إلى زاوية المقهى، لمحته يجلس إلى طاولة دينا سوترلاند. رأت رأسيهما منحنيين باتجاه بعضهما البعض وهما يتحدثان مطولاً. لا شك أنهما يضعان مخططاً لحملته الانتخابية.

تعثرت روزي من شدة الصدمة، وتفهمت تماماً ما يجري. آه! لدى مايسون سبب هام جداً ليبقي ماضيها مدفوناً إلى الأبد، وهي التي اعتقدت أنها تعرفه جيداً. تذكرت ما أخبرها به عن السيناتور برتراند المشترع الفيدرالي المعروف من ميتشيغن الذي استخدم مايسون لمراقبة ابنته المدللة المشاكسة. وهو يعلم جيداً ما الذي يحقق له الانتصارات وما الذي يسيء إليه، ويعلم جيداً أن الأسرار الشخصية السيئة هي حواجز ضد طموحه السياسي. وأي شيء أكثر سوءاً من العيش مع فتاة لأبوين مدمنين؟

لمعت في بالها فكرة أشد إيلاماً. أيعقل أن مايسون يشعر بالخجل منها؟ أم تراه يخجل من نفسه لأنه يشعر بالانجذاب إلى فتاة لها مثل هذا الماضي السيئ القذر؟

تراجعت إلى مكتبه، وغرقت في المقعد وراء المكتب. نظرت من جديد إلى الصور وإلى ملاحظات مايسون، لكنها بعد قليل لم تعد تستطع رؤيتها بسبب الدموع التي ملأت عينيها.

الجذور التي نمت لها في تشينس هاربور خلال الأشهر القليلة الماضية ليست عميقة جداً بحيث يتعذر قلعها، لكنها عميقة بما فيه الكفاية ليكون نزعها مؤلماً جداً. مع ذلك، إن كان هناك شيء واحد تعرفه روزي فهو أنها لا تستطيع البقاء. ولهذا تشعر بالكثير من الحزن.

قال مايسون وهو يفتح الباب: «هاي! امتلأ المقهى بالضيوف، هل أنت...؟ روزي، ما الأمر؟»

رفع حاجبيه باهتمام، وبسرعة أغلق الباب وأسرع ليقترب منها.

- ما الأمر، عزيزتي؟

مسحت روزي دموعها على عجل كارهة الضعف الذي يظهر عليها، مع ذلك لم تكن قادرة على إيقافها. أمسكت بالملف، وأجابت: «وجدت الملف، مايسون. أختاي تبدوان مثلي. ألا تعتقد ذلك؟»

تلاشى اللون من وجه مايسون.

- دعيني أشرح لك.

- تشرح لي؟ لماذا أخبرتني أن أمي ميتة؟ لماذا أخبرتني أن لا أحد لدي في هذا العالم، بينما تبين أن لي أختين؟ أختين... تباً لك!

خرجت الشتيمة من فمها كأنها صرخة ألم.

- أنت من بين كل الناس تعلم ما الذي يعني لي إيجاد أمي وإيجاد عائلة أيضاً. لقد وثقت بك وأحببتك.

- لا تقولي ذلك. لا تقوليه وكأنك تتحدثين عن أمر مضى.

- وأي مستقبل يمكن أن يجمعنا وأنت تخجل بي؟

- أخجل بك؟

- أنا ابنة عائلة مدمنة، مايسون.

ضحكت باستهزاء وغضب قبل أن تتابع: «واسمي كريستل، إن اردت أن تسمع ذلك بوضوح. كنت شرطياً، ولا بد أنك فكرت... يا لمهزلة الحياة! ربما أنت تشعر بالخجل لأنك منجذب إلى فتاة مثلي».

- أنا لا أخجل بك، روزي. فكري بأي أمر آخر عن دوافعي، لكن لا تفكري هكذا.

- حسناً! أنت لا تخجل بي، لكنك تتصرف وفق مصالحك الشخصية. رأيتك في الخارج مع دينا تضعان خططاً للفوز بالانتخابات. ربما هي تعلم أيضاً عن ماضي واقترحت عليك أنك تستطيع إنقاذ من هم أمثالي، لكن من يقترع لك ليس بحاجة ليعلم أنك تعشق فتاة مثلي، فهذا الأمر لن يفيدك، ولن يجلب لك أصواتاً لا سيما من المحافظين. وهذا بالطبع ما تحتاجه لتأمين انتخابك.

مدّ مايسون يده نحوها، لكنها تراجعت إلى الوراء.

- لا أصدق أنك تفكرين بي على هذا النحو.

- بماذا يجب أن أفكر؟ لم ترغب في أن أذهب معك إلى

كاليفورنيا. هل كنت قلقاً بسبب ما ستكتشفه؟

- أجل، بالطبع. لكن ليس لأجل الأسباب التي تتهمينني بها. لو أنك تحبينني بمقدار نصف حبي لك لعلمت ذلك.

وصلت كلماته إلى أعماقها. أرادت أن تصدقه، لكن حياة مليئة بالتجارب الصعبة كحياتها دفعتها إلى التراجع وإلى الهرب بعيداً.

- علي الذهاب.

- الذهاب... ؟ إلى أين؟

- إلى الخارج... بعيداً. أحتاج إلى التفكير.

- لا تفعلي ذلك، روزي! لا تستسلمي إلى الماضي الآن. لدينا مستقبل معاً.

جاءت نبرة صوته عالية كالرعد. تبعتها وهي تركض هاربة من المقهى.

* * *

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة والنصف عندما دخلت روزي المقهى صباح اليوم التالي، فيما كان مايسون يتهيأ للاتصال بالشرطة لكي يبلغ عن اختفائها. أمضى الليلة بطوله يتجول في المنارة قاطعاً الغرف ذهاباً وإياباً، فيما القلق والغضب يسيطران عليه، وهو يتساءل أين يمكن أن تكون بحق السماء!

أما الآن، فها هي تقف أمامه، وهي تبدو هادئة وبعيدة جداً. هو يعلم بلا شك أن هذه الطاولة الخشبية القديمة ليست وحدها التي تفصلهما عن بعضهما.

صرخت مارني: «روزي! الحمد لله!»

أسرعت بالاقتراب منها لتضمها إليها، إلا أنها ابتعدت على الفور على غير عادتها تاركة المجال له ليتكلم. قال مايسون: «شعرت بالقلق عليك».

- يؤسفني ذلك، لكنني كنت بحاجة إلى بعض الوقت كي أفكر.

- ألا يمكنك أن تتصلي بي وأنت تفعلين ذلك؟

كررت روزي ثانية: «آسفة».

لابد أنها توصلت إلى قرار ما. هو يرى ذلك بوضوح من خلال شدة تماسكها. وقفت روزي بحزم وقوة، رافعة ذقنها، منتصبة القامة. فكر أنه على الأرجح لن يوافقها على ما ستقوله.

سألته: «أتريد الدخول إلى المكتب لتتمكن من التحدث؟»

نظر مايسون حوله إلى الحشد الدائم في المقهى.

- يمكننا التحدث هنا، فالجميع من العائلة.

استعمل الكلمة الأخيرة عن قصد، ولاحظ بسرعة كيف أجفلت.

- أفضل الحديث على انفراد.

- لماذا؟ فأنا أعلم ما الذي تريدين قوله. أنت تريدين الرحيل.

قال ذلك كأنه يتهمها، وهذا ما يشعر به بالفعل.

- أنت تريدين مغادرة المكان، لأن هذا ما تجيدين القيام به عندما تتعرضين لأمر قاس ومؤلم. لكنني سأمنعك بكل ما لدي من قوة من القيام بذلك. أنت لم تعطيني فرصة لأشرح لك ما حدث.

عقدت روزي ذراعيها فوق صدرها، وقالت: «حسناً! اشرح لي الآن. اشرح لي لماذا لم تخبرني الحقيقة».

- قرأت الملف كله روزي، وهذا أكثر من كاف. أردت حمايتك... لم أشأ أن أراك تتألمين.

أخفض صوته وهو يكمل: «لم ترغب في مقابلتك. هددت بالذهاب إلى الشرطة لتقديم شكوى بالتعرض لها إذا حاولنا الاتصال بها أو بعائلتها الجديدة ثانية. كيف يمكنني إخبارك بذلك؟ كيف يمكن لي أن أنظر إلى المرأة التي أحب... إلى عينيها مباشرة لأقول لها...».

أكملت عنه: «... إن أمي الحقيقية لا تريدني».

ارتفعت نبرة صوتها ليسمعها كل من في المقهى وهي تتابع: «لكنني عرفت ذلك من قبل، مايسون. عرفت ذلك طوال ثلاثة وعشرين عاماً».

- وما زال الأمر مؤلماً. اعتقدت أنه يمكنني أن أوفر عليك هذا الحزن.

- وأنا اعتقدت أنك مختلف، لكنك تماماً مثل أولئك الذين يعملون في دور رعاية الأيتام والمستشارين الاجتماعيين، الذين كانوا يقتحمون حياتي ويخرجون منها طوال سنين عمري. كلهم يعلمون ما هو الأفضل لي، ولم يزعج أي منهم نفسه ليسألني بماذا أفكر أو ما الذي أريده.

- أنا أسألك الآن: ما الذي تريدينه، روزي؟

- ربما من الأفضل أن تناديني روز.

تابعت باستياء: «لا يمكنك أن تغير قصة حياتي، ولا يمكنك أن تغير اسمي ولا أن تغيرني».

- أنا لم أغيرك، بل أنت غيرت نفسك. تماماً كما تغيرت أنا منذ تعرفت عليك. أنت روزي، وأعلم تماماً من أنت.

- أنا ابنة شبه أمية لعائلة...

صرخ بها مايسون:

- لا! أنت فعلاً بدأت تثيرين غضبي. تلك ليست أنت. أنا أعرف ذلك وأنت أيضاً. مهما كان الاسم الذي ستختارينه سأحبك، لأنني أغرمت بشخصك لا باسمك أو بماضيك. أغرمت بك، وأنا أريدك. أريد كل ما فيك، الماضي والحاضر والمستقبل. أريدك إلى الأبد.

لم ترَ مايسون من قبل متوتراً، فاقداً للصبر وغاضباً. أقنعها عنفه أنه تصرف كذلك بسبب حبه لها. أخفى تلك المعلومات كي لا يحزنها. ربما اختار طريقة حمقاء، لكن مقاصده شريفة وصادقة، وقديمة الطراز أيضاً. أدركت روزي ذلك ما إن رفع اللوح الخشبي للطاولة التي يعمل

وراءها، ثم ركع على ركبة واحدة أمامها. سمعت مارني تصرخ: «آه... يا إلهي!».

لكن مايسون لم يتأثر بذلك، ولا بوجه روزي الصامت المندهش، ولا بالحضور الذي حدق بهما بكل اهتمام.

- ليس هذا بالتحديد ما خططت للقيام به. لطالما فكرت بأمسية رومنسية على ضوء الشموع والموسيقى، لكن أعتقد أن العواطف تبقى ذاتها مهما كانت الأجواء المحيطة. روزي... أريد الزواج بك.

راح قلب روزي يدق بقوة بين ضلوعها. شعرت بتلك الجذور تمتد عميقاً وبقوة أكبر هذه المرة، وتتجذر أكثر فأكثر في حياتها. مع ذلك، هي بحاجة لتوضح بعض الأمور.

- أريد شريكاً مايسون، لا حامياً أو منقذاً. أنا لست هشة ورقيقة، كما تعلم.

- أعلم. لكن ربما إنقاذ الواحد للآخر ليس بالأمر السيء. أنت أنقذتني. أتيت إلى حياتي، وذكرتني بما يعني الحب الحقيقي. إنه أخذ وعطاء في آن معاً. لايمكن أن يكون الحب من جانب واحد إن أراد البقاء، وحبنا ليس وحيد الجانب.

هزت روزي رأسها، فهي تعلم أنه يقول الحقيقة.

- سأقدم لك أي شيء تطلبينه، روزي. فقط اطلبي!

قالت: «أريد عائلة. أريد الانتماء إلى مكان ما وإلى شخص ما، وأريد أن يكون هذا الشخص أنت، وأن يكون ذلك المكان تشينس هاربور».

- هل هذا يعني نعم؟

صاحت مارني بذلك قبل أن يحظى مايسون بفرصة ليفتح فمه.

أجابت روزي: «بشرط واحد».

سمعت الرجال في المقهى يثنون باستياء من أجل مصلحة مايسون.

سألت مارني: «ما هو هذا الشرط؟»

قال مايسون باستياء واضح: «هاي! أنا من يطلب يدها».

نظر مجدداً إلى روزي، وسألها: «إذاً، ما هو شرطك؟»

- ألا تكون أغنية زفافنا «الذهاب إلى الجحيم».

ابتسم مايسون وهو يقف، وهذا ما فعلته روزي عندما عانقها أمام تصفيق وتهليل الجميع.

حتى نبرة بارغن آرشي بانكرسكيو بدت كالموسيقى في أذنيها وهو يقول: «آه، يا إلهي!»

قال مايسون: «الزواج عملية تأقلم وتفاوض».

امتلأت عينا مارني بالدموع، فيما تابع مايسون: «ماذا عن فان هالين «الهروب مع الشيطان».

- لا!

- آه! ماذا عن «عندما يأتي الحب».

ضمته روزي إليها لتتمكن من الاحساس بدقات قلبه متناغمة مع دقات قلبها.

قالت واعدة: «سأفكر في الأمر».

١٢ ــ قانون روزي

اتفقا على أغنية فان هالين «لا أستطيع التوقف عن حبك»، وأمضيا شهر العسل يبحثان عن شقة في لانسغ من أجل النائب المنتخب مايسون سترايكر.

فاز مايسون في الانتخابات بسهولة بالرغم من أن منافسه ذكر ماضي روزي وحياتها السابقة. لكن ماضيها لم يؤثر مطلقاً على مايسون أو على المقترعين الذين انتخبوه أو على البلدة التي تبنتها وجعلتها واحدة من أبنائها. لم يعد الأمر مهماً بالنسبة إلى روزي أيضاً. ما زال لديها أسئلة تطرحها على أمها التي أنجبتها. ربما ستحاول التعرف عليها في أحد الأيام ولقاء أختيها. أما الآن فمارني هي الأخت الوحيدة التي تحتاجها روزي، أو بإمكانها التعامل معها.

اهتمت مارني بالتخطيط لزفاف روزي ومايسون مصرة عليهما أن ينتظرا حتى ولادة طفلها كي يتزوجا. فهي ستكون وصيفة العروس في النهاية، وتريد أن تبدو بأفضل حلة لها في ثوبها ذي الكتف الواحدة الذي اشترته للمناسبة. كما أنها أقنعت بارغن أن يرتدي بذلة رسمية سوداء ليقدم روزي إلى عريسها.

بالطبع، قال بارغن لروزي إنه يسعده القيام بذلك. لكنه طبع قبلة على خدها قبل أن يقدم يدها إلى مايسون، ثم فاجأهما معاً عندما قال له بصوته الخشن: «من الأفضل لك أن تكون جيداً معها، وإلا فإنك ستضطر إلى مواجهتي».

لكن مايسون كان جيداً معها، بل أكثر من جيد. تماماً كما كان مع

www.elromancia.com

كل من انتخبه لمرتين متتاليتين. الآن، ها هو يقوم بحملة ليصبح سيناتوراً للولايات المتحدة، متمنياً ألاّ يلقى المخادع برتراند. وقفت روزي بعيدة عن المسرح تصغي إليه وهو يلقي خطاباً في قاعة السائقين في فلينت. فكرت بالسنوات القليلة الماضية. كانت سنوات مثمرة على عدة أوجه ومجالات. فكرت وهي تربت على بطنها، قريباً جداً سيحصل مايسون على مقترع جديد في منطقته. بالطبع مايسون سعيد جداً لأنه سيصبح والداً. دفعه ذلك للقيام بأعمال كثيرة خلال الأشهر القليلة الماضية، والآن ها هو يحصد ثمرة أعماله. فتجديد قانون رعاية الأيتام هو الشغل الشاغل لمايسون، وقد تمت الموافقة عليه من قبل الحزبين. مشروع القانون هذا سيصبح قانوناً إلزامياً عما قريب. دعاه مايسون «قانون روزي».

علمت روزي أن المواطنين الصامتين وغير المنظورين سيرحبون بهذا القانون مهما كان اسمه، لكن حقيقة أن التعديلات تحمل اسمها لها وقع مميز لديها. فهي - كما قال شكسبير في إحدى رواياته - ذات حلاوة مزدوجة.